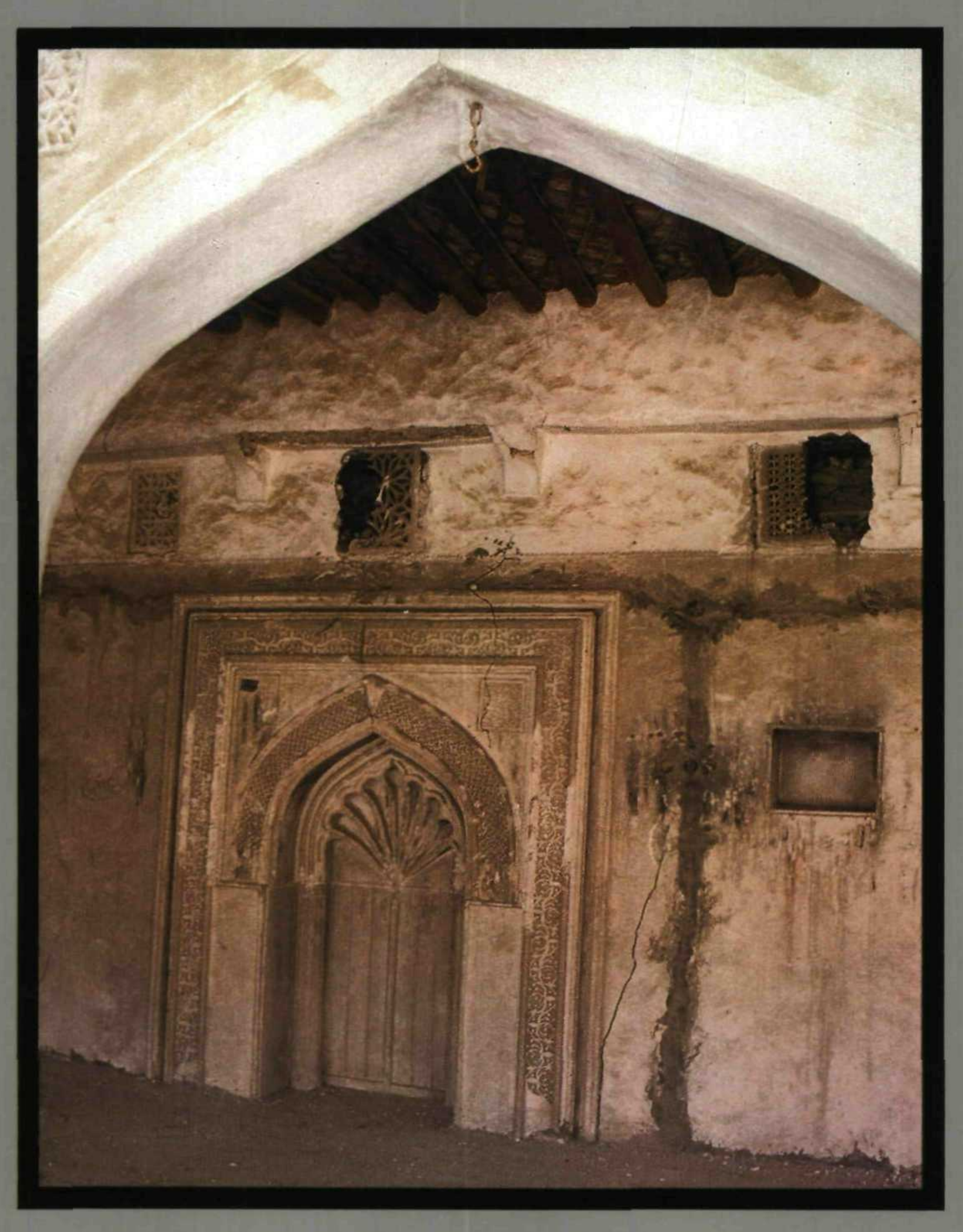
القافلة

شعبان ١٤٠٧هـ/ مارس/ ابريل ١٩٨٧م



القطيف مدينة تاريخية عريقة

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

THE CARAVAN-MAR/APR.1987

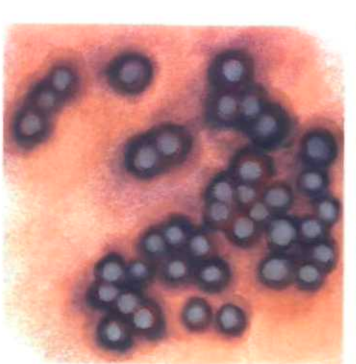
شعبان ١٤٠٧هـ/ مارس/ ابريل ١٩٨٧م
العدد الثامن/المجلد الخامس والثلاثون

مجلة ثقافية
تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

تـوزع مجانـاً

المدير العام: فيصل محمد البسام
المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب
رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد: عوني أبوكشك


القطيف .. مدينة تاريخية عريقة


الميكروبات .. فوائدها وأضرارها

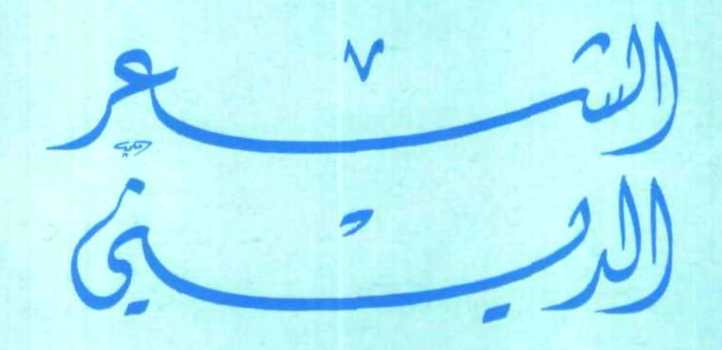

المؤتمر الخليجي الرابع لادارة الموارد البشرية


بعد الغروب (قصة)

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في "القافلة" يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز اعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية

طباعة شركة مطابع المطوع - الدمام - المملكة العربية السعودية
Printed by Al-Mutawa Press Co., Dammam, Saudi Arabia



بقلم: د. أحمد جمال العمري/جدة

من القضايا العلمية الهامة، التي شغلت.. ولا تزال تشغل فكر الباحثين والدارسين للشعر العربي، قضية الشعر الديني.

أين مكان هذا الشعر من موضوعات الشعر الجاهلي المتعارف عليها؟

ولماذا لم يهتم به رواة الأشعار والأخبار؟

ثم.. ما موضوعاته.. وما مضمونه؟

هذه كلها أمور شغلت المشتغلين بالأدب العربي، وستظل تشغلهم فترة كبيرة من الزمن. وسنحاول القاء الضوء عليها في هذا البحث.

إن أقدم من حاولوا تقسيم الشعر العربي.. جاهلي أو غير جاهلي.. الى موضوعات، هو أبو تمام الطائي، الشاعر المعروف (ت سنة ٢٣٢). فقد نظمه في عشرة موضوعات رئيسية هي:

«الحماسة، والمراثي، والأدب، والنسيب، والهجاء، والأضياف ومعهم المديح والصفات، والسِّيَر، والنعاس، والمُلَح، ومذمة النساء».

وهذه الموضوعات، كما هو واضح، يمكن أن يدخل في بعضها موضوعات أخرى، فالحديث عن الأضياف اما أن يدخل في المديح أو في الحماسة والفخر، والتشبّب والنعاس يدخلان في الصفات، كما تدخل مذمة النساء في الهجاء، أما الملَح، فغير واضحة الدلالة.

وجاء في باب الأدب ما يدل على أنه يقصد به المعنى التهذيبي، غير أنه أنشد فيه أبياتا في وصف الخمر، وأغفل تماما باب العتاب والاعتذار[١].

فأين مكان الشعر الديني في هذه الموضوعات، وأين موضعه في تقسيم ابي تمام للشعر العربي أضف الى ذلك أن قدامة بن جعفر حين جنح الى تقسيم الشعر في كتابه «نقد الشعر»، قد وزع هذا الفن على ستة موضوعات هي: المديح، والهجاء، والنسيب، والمراثي، والوصف، والتشبيه.

وحاول قدامة بعقليته المنطقية أن يحصر الشعر في مجالين، أو موضوعين اثنين، هما: «المديح والهجاء». فالنسيب في رأيه مديح، ومضى يعين المعاني التي يدور حولها المديح، وهو في رأيه الفضائل النفسية، ونجد نفس المحاولة في تضييق موضوعات الشعر واضحة في كتاب «نقد النثر»، فهي مديح، وهجاء، وحكمة، ولهو. ويدخل في المديح: المراثي والافتخار، والشكر واللطف في المسألة. ويدخل في الهجاء: الذم والعتاب، والاستبطاء والتأنيب، كما يدخل في الحكمة الأمثال والزهد. فأين مكان الشعر الديني، الذي يتحدث عن الجوانب الروحية في حياة العربي القديم، من هذه التقسيمات والتحليلات؟

كذلك ابن رشيق، في كتابه «العمدة» نظم موضوعات الشعر في تسعة أقسام: وهي: النسيب، والمديح، والافتخار، والرثاء، والاقتضاء، والاستنجاز، والعقاب، والوعيد، والانذار، والهجاء، والاعتذار. وهو كما نرى قد أغفل الوصف.

أما أبو هلال العسكري فيقول: «وإنما كانت أقسام الشعر الجاهلي خمسة: المديح، والهجاء، والوصف، والتشبيه، والمراثي، حتى زاد النابغة قسما سادسا، وهو الاعتذار، فأحسن فيه»[٢].

وهو تقسيم جيد، غير أنه نسي باب الحماسة، وهو أكثر موضوعات الشعر دورانا على لسانهم، ولم يلتفت أبو هلال — كسابقيه — الى العنصر الديني.

فهل معنى ذلك أن عناصر الشعر الديني لم تلفت نظر هؤلاء العلماء، العالمين بالشعر، أم أنهم كانوا يطبقون مبدأ الكم دون الكيف، وينظرون الى الكثرة دون المضمون؟

إننا إذا نظرنا في التاريخ الأدبي، للشعر العربي، لمعرفة كيف نشأت موضوعاته وتطورت مع مرور الزمن، نجد أن الأصول الأولى لهذا الشعر — كما يقول كثير من الباحثين[٣] — انما تطورت من أناشيد دينية، كان الجاهليون يتجهون بها الى آلهتهم، يستعينون بها على حياتهم، فتارة يطلبون منها القضاء على خصومهم، وتارة يطلبون منها نصرتهم ونصرة أبطالهم، ومن ثم نشأ هجاء أعدائهم، ومدح فرسانهم وسادتهم، كما نشأ شعر الرثاء، وهو في أصله تعويذات للميت حتى يطمئن في قبره، وفي أثناء ذلك كانوا يمجدون قوى الطبيعة، والتي تكمن فيها آلهتهم، والتي تبعث فيهم الخوف..

ومعنى ذلك، أن موضوعات الشعر الجاهلي بدأت دينية، تطورت من أدعية وتعويذات وابتهالات للآلهة، الى موضوعات مستقلة هي التي تنبه اليها رواة الشعر وعلماؤه، وإن كانوا قد أغفلوا الأصل، وتناسوا البداية الدينية.

اذن فقد كان هناك التفات من الجاهليين الى الجانب الديني في حياتهم، وأنهم عبروا في شعرهم عن معتقداتهم، ونوازعهم الدينية، فكان الوثنيون منهم يتجهون الى أصنامهم بالشعر، ويتحدثون عن عواطفهم نحوها، كما كانوا يبتهلون اليها ويذكرون معابدهم، وغير ذلك.

ومن الطبيعي أن يتجه أصحاب المعتقدات الدينية الأخرى، ومن بينهم أهل التوحيد من الحنفاء، بشعرهم الى التعبير عن عقائدهم وأفكارهم ومفاهيمهم لهذه العقيدة، فيصورون في هذا الشعر الديني أحاسيسهم، ويسجلون دعواتهم ومناجاتهم، ويضمّنون هذا الشعر تصوراتهم وآراءهم في الحياة والمجتمع، ويتحدثون فيه عن كل ما يعن لهم من أمور وخواطر.. من تضرع وحنين، وحيرة وتأمل، وخضوع وخشوع، وغير ذلك مما يتصل بالعبادة.

والذي يظهر لي من تتبع الحياة الدينية للعرب الجاهليين أنه كانت لا تزال في نفوسهم بقية من هذه الصلة القديمة بين الشعر ودعاء الآلهة، يدل على ذلك أعظم دلالة، ما جاء في القرآن الكريم من كثرة الربط بين الشعر والسحر، وتعاويذ الكهنة، فقد كانوا يرمون الرسول، ﷺ، في بدء دعوته تارة بأنه شاعر، وتارة ثانية بأنه كاهن، وتارة ثالثة بأنه ساحر.

واذا كان ما يتصل بالجانب الديني في الشعر الجاهلي، لا ينبىء عن حياة عقلية واعية، فإن العرب — كما نعلم — لم يكونوا في جاهليتهم أصحاب علم وثقافة، وإنما كانت معارفهم في مجموعها فطرية بسيطة، تستمد أصولها من البيئة المحيطة، وقد صور شعرهم حياتهم العقلية على حالها. وليست مجادلة القرآن الكريم لهم دليلا على رقيهم العقلي، لأنه لم يذكر لهم فلسفة خاصة، أو آراء تدل على النضج الفكري والعقلي والثقافي، وإنما وصفهم باللّدد في الخصومة، وشتان ما بين العناد والرقي العقلي والثقافي.

ان كل ما يمكن للباحث أن يدركه من دراسة الحياة الدينية، والمعارف العربية عند الجاهليين، هو أن الترابط المنطقي عندهم كان ضعيفا، وأنهم كانوا لا يحسنون ربط المسببات بأسبابها ربطا محكما، وهذا طبيعي.. وقد كانوا في طور

(١) الدكتور شوقي ضيف، العصر الجاهلي ص/١٩٥، طبع دار المعارف بمصر.
(٢) ديوان المعاني ١/٩١
(٣) الدكتور احمد الحوفي: الحياة العربية من الشعر الجاهلي طبع نهضة مصر سنة ١٩٧٠ وكارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ١/٤٤ طبع دار المعارف بمصر.

البداوة. فلم يكونوا في حالة تسمح لهم بفهم الارتباط بين العلة والمعلول. لأنهم كانوا لا يتعمقون في بحث الأشياء. إنما ينظرون اليها نظرا عارضا. أو خاطفا. يقفون عند السطح. عند الجزئيات. ولا يتعلقون بمدركات كلية. أو نظرات شاملة. فكل ذلك لا يطوف بالدائرة التي يحيونها. دائرة الحياة الفطرية الساذجة.. وحقا شاعت عندهم الحكمة. ولكن لا بمعناها الذي عرفت به في العصور الاسلامية — وهو الفلسفة — وإنما بمعنى الخبرة المحدودة التي تصورها عبارة من العبارات القصيرة. فالحكَم هو العاقل المجرب. الذي يحقق بحكمة العدل. ويمنع الخصام. وكذلك كانت الحكمة. فهي تنبىء عن معرفة الشخص بالحياة، ووقوفه على طرقها المستقيمة التي تهدي سبل الرشاد.

وهنا سؤال يطرح نفسه...

هل معنى ذلك أن الشعر الجاهلي لا يصور الحياة الدينية للعرب. كما ذهب الى ذلك الاستاذ مارجليوث.. وتابعه الدكتور طه حسين؟

لقد اعتمد طه حسين. في رأيه هذا. على أسباب منها.. «أن القرآن حين يتحدث عن الوثنيين واليهود والنصارى. وغيرهم من أصحاب النحَل والديانات. إنما يتحدث عن العرب. وعن نحَل وديانات ألفها العرب. فهو يبطل ما يبطل. ويؤيد منها ما يؤيد. وهو يلقى في ذلك من المعارضة والتأييد بمقدار ما لهذه النحَل والديانات من السلطان على نفوس الناس. وإذاً فما أبعد الفرق بين نتيجة البحث عن الحياة الجاهلية في هذا الأدب الذي يضاف الى الجاهليين. ونتيجة البحث عنها في القرآن. فأما الشعر الذي يضاف الى الجاهليين فيظهر لنا حياة غامضة جافة بريئة أو كالبريئة من الشعور الديني القوي. أو العاطفة المتسلطة على النفس. والمسيطرة على الحياة العملية.. وإلا فأين نجد شيئا من هذا في شعر امرىء القيس. أو طرفة. أو عنترة. أو ليس عجيبا ان يعجز الشعر الجاهلي كله عن تصوير الحياة الدينية للجاهليين»[٤].

في الحقيقة.. إن رأي طه حسين. يتطلب منا وقفات متأنية نستشف منها عقائد العرب الدينية. لنعرف الى أي مدى يستطيع ما بقي من الشعر الجاهلي أن يصور هذه العقائد. ولسنا ننتظر بالطبع أن يحدثنا هذا الشعر حديثا مستفيضا يوقفنا على جميع جوانب الحياة الدينية. بل ليس من حقنا أن ننتظر من الجاهليين أن يضعوا بين أيدينا هذا التفصيل. لأن هؤلاء الشعراء انما تناولوا في شعرهم هذه الحياة الدينية. وهذه المعتقدات والآراء بطريقة فنية وجدانية. تمس التفاصيل مساً رفيقا أو لا تمسها. والشعر من هذه الناحية لا يتقيد بما يتقيد به النثر من طرائق وبراهين وأدلة وتفاصيل.

وثمة شيء آخر. وهو أننا لا يصح أن نطلب من الجاهليين — في هذا الزمن السحيق — وهذه البيئة البدائية. أن ينظموا لنا شعرا يمكن أن نصنف منه بابا خاصا. يدور حول الدين كالأبواب الأخرى من مديح وهجاء ورثاء..

أضف الى ذلك أن هذه الأبواب. أبواب عامة متعارف عليها. متداولة. معروفة ومفهومة. وتمثل الحياة الجاهلية. أمَّا الشعر الديني فهو أكثر ما يمثل الجانب الذاتي. الذي يوضح العلاقة بين المرء وربه. بين الشاعر وخالقه. لذلك فهو أكثر ما ينظمه نتيجة معاناة أو مكابدة. أو حيرة وتطلع. أو ظروف قاسية. أو مناجاة روحية. أو لحظات من التأمل.. وهو في أغلب الأحوال ينظم هذا الشعر لنفسه. تعبيرا عن وجدانه الروحي.

ومع ذلك. فاننا نجد أن النزعة الدينية في شعر هؤلاء الجاهليين مبثوثة في أبواب شتى. وبين ثنايا القصائد أو المقطعات التي نظموها في مجالات حياتهم العامة.

واذا كان طه حسين لم ير في شعر امرىء القيس. أو طرفة. أو عنترة. هذا الجانب الديني فاننا قد وجدنا في شعر شعراء آخرين كثيرا من هذا الشعر. وكثيرا من القضايا الدينية التي كانت تهمهم وتشغلهم طوال حياتهم.

ومع ذلك.. فانه لا يصح منا أن نتوقع أن نجد في العصر الجاهلي شعراء دينيين. قصروا حياتهم على تناول شئون العقيدة. والحديث عن النزعة الدينية فحسب. ولا يجب أن نتوقع كثرة من الشعراء يغلب على شعرهم الطابع الديني كما هي الحال مع أمية بن أبي الصلت مثلا. وحسبنا أن نصادف في شعراء الجاهلية بعض الشعراء الذين اتسم جانب من شعرهم بالسمة الدينية فضمنوه أبياتا. أو مقطعات قصيرة تحدثوا فيها عن معتقداتهم الدينية. ورؤياهم ومناجاتهم للخالق. وتأملهم في مخلوقاته الكونية الى غير ذلك من أمور..

وليس من الطبيعي أن نتوقع من كل شاعر جاهلي. أن تكون له في الدين جولة أو جولات. فان كثيرا جدا من الشعراء المسلمين على فحولتهم. وعظم مكانتهم. لم يقصروا على الدين بعض شعرهم. حتى ليصعب على الباحث ان يستشف من خلال قصائدهم. عقائد دينية متميزة أو آراء ومبادىء تتصل بالدين.

انه من التعسف أن نقول: إن الشعراء الجاهليين. على كثرتهم. كانوا لا يحفلون بالدين. أو أنهم لم يكونوا مرتبطين بدينهم ارتباطا يدير ألسنتهم بقصائد كثيرة. تنبع من هذا الدين. وتدور حوله[٥]. يكفي أن نقف برهة مع الشعراء الحنفاء[٦]. الذين كانوا يدينون بملة سيدنا ابراهيم الخليل. عليه السلام. وهم جميعا من الجاهليين. الذين عاشوا وماتوا قبل البعثة المحمدية. فاننا نجد أن ألسنتهم قد لهجت بالكثير من المعاني الدينية. في أبيات ومقطعات تصور عقيدة التوحيد وما يتصل بها[٧]..

---

(٤) في الأدب الجاهلي ص/٨٠.

(٥) بروكلمان: العرب والامبراطورية العربية. ترجمة الدكتور نبيه فارس طبع بيروت ص/٢٦.

(٦) انظر بحثنا الشعراء الحنفاء — طبع دار المعارف بمصر.

(٧) قصص الأنبياء ١٢.

من مثل قول أمية بن أبي الصلت :

اذا قيل من رب هـذي السما
فليس سواه له مضطربْ
ولو قيل رب سوى ربنـا
لقال العباد جميعا كَذِبْ

فالله هو رب السماء الذي تتعبد له كل المخلوقات، وتسبح بحمده، وتخشع لملكوته، ولو قيل أن هناك ربا غيره، لكذب عباده جميعا هذه الفرية، اعترافا بوحدانيته وتنزيها له.

والله واحد أحد، ليس له شريك في الملك، علام الغيوب، وما تخفي القلوب وبالله يدرك كل خير. يقول عبيد بن الأبرص[8] :

والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب
بالله يدرك كل خير والقول في بعضه تلغيب

وهم يعلمون أن الله، لا إله غيره، ولا يستطيع أحد منازعته في ملكوته، وأنه الهادي لهم في كل شئونهم وأفعالهم، لذلك فهم يدعونه في كل أمر وبيعة، يقول أبو قيس بن صرمة[9] :

ونعلم أن الله لا شيء غيره
ونعلم أن الله أفضل هاديا
أقول اذا أدعوك في كل بيعة
تباركت قد اكثرت لاسمك داعيا

ويقول زيد بن عمرو بن نفيل[10] :

ألا أيها الانسان إياك والردى
فانك لا تخفي من الله خافيا
وإياك لا تجعل مع الله غيره
فان سبيل الرشد أصبح باديا
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى
أدين إلها غيرك الله ثانيا

ان زيدا يحذر بني الانسان أن تسيطر عليهم الهواجس، فيترددون في مهابط الشرك، ويقول: ان الله لا تخفى عليه خافية، ويعظهم ان الرشد والهداية قد ظهرت واضحة جلية، ثم يؤكد خضوعه لله، واعترافه بوحدانيته.

يقول قس بن ساعدة، مقرا بالتوحيد الخالص:[11]

كلا بل هو الله إله واحد
ليس بمولـود ولا والد
أعاد وأبدا.. واليه المآب غدا

والتوحيد في مفهوم الحنفاء يهدم كل شرك، انهم يقرون بأنه الواحد الحي الدائم الباقي، الوارث لكل المخلوقين، المحيط بكل شيء، القادر على كل شيء.. يقول أمية[12] :

ألا كل شيء هالك غير ربنا
ولله ميراث الذي كان فانيا
وليّ له من دون كل ولاية
اذا شاء لم يمسوا جميعا مواليا
وان يك شيء خالدا او معمرا
تأمل تجد من فوقه الله باقيا

إن ايمانهم بالله كان يدفعهم الى مناجاته ومخاطبته في كل حال، وكل وقت يسألونه الخير، ويعترفون بفضله، ويطلبون عفوه ومغفرته، انهم يدعونه في مناجاة تسيل رقة وعذوبة، من مثل قول ابن ثعلب[13] :

أدعوك يا رب بما أنت أهله
دعاء غريق قد تشبث بالعُصَمِ
لأنك أهل الحمد والخير كله
وذوالطول لم تعجل بسخط ولم تلمِ
وأنت الذي لم يحيه الدهر ثانيا
ولم ير عبد منك في صالح وجمِ
وأنت القديم الأول الماجد الذي
تبدأت خلق الناس في أكتم العدمِ
وأنت الذي أحللتني غيب ظلمة
الى ظلمة في صلب آدم في ظُلَمِ

فالشاعر في مناجاته لربه، يعترف بأنه ملجأ كل داع، وملاذ كل محتاج، يستجيب لكل دعاء لأنه أهل الحمد والخير، يتحمل أخطاء عباده ولا يعجل بالانتقام منهم، ويخاطب ربه بصفات القدرة، بأنه الباقي، الدائم الذي لا يفنى ولا يزول، ويصفه بأنه القديم الأول الماجد الذي بدأ الخلق منذ القدم، بدأ من صلب آدم في الظلم.

وأظن في ذلك الدليل الكافي على وجود الشعر الديني، وأنه كان مبثوثا بين ثنايا دواوين الشعراء الأقدمين □

(٨) البيان والتبيين ١/٢٦٦، وديوانه ص/١٥.
(٩) سيرة ابن هشام ١/٥١١.
(١٠) بلوغ الارب ٢/٢٤٩.
(١١) الملل والنحل ١/٩٦.
(١٢) خزانة الأدب ١/١١٩.
(١٣) بلوغ الأرب ٢، ٢٧٦.



القمر

للشاعر: محمد برهام / الاسكندرية

اسرّح الطرف استحيي من القمر   يعطي كثيرا، ونعطيه على قدر
يطل من برجه العاجي مؤتلقا   في هالة حوله من أكرم الأسر
والكون يسبح لا يسدي اليه يدا   يكاد يغرق في آلائه الغرر
أليس يقضي مع الامواج ليلته   يدور بينهما همس مدى العمر
هل يجحد النبت ان البدر يحضنه   وتوأم الترب في الانماء والثمر
من ذا مع البدر منا ما له خبر؟   وسره مودع في ذلك الخبر
سل المحبين هل يحلو لهم سهر   الا اذا ضوؤه أغرى على السهر
يبدو كغرته وجه الغرام لهم   وهم مع الأمل المعسول والوطر
لا يشعرون بإملال ولا ضجر   في جلسة ربما كانت على حجر
ان همَّ منحدرا تعلو ضراعتهم   أشواقنا لم تزل يا بدر فانتظر
أللظلام وللمجهول تتركنا؟   يا ويلتاه على الأحلام إن تطر
يجيب رجع الصدى من همس هالته   ان لم تلب نداء الشوق فاعتذر
تحيا غراما على قرب وفي دعة   وقد يكونون عشاقا على سمر
أو قل لهم انني ان غبت عن ثغر   فانني بالهوى أسعى الى ثغر

* * *

يا آية الحسن هل ضوء البدور هدى   او أنه فتنة في أعين البشر؟
سطح الغدير سبيكات تفضضها   تراقص العين بين الماء والشجر
جعلتها لك مرآة تطل بها   وقد بدت لك فيها أجمل الصور
مدّ المحبون أيديهم ليحتفظوا   بها، وما قد تمنوا خدعة النظر
كفاك منزلة ان كنت اغنية   على اللسان ونجوانا من الصغر
وكلمة السر في دنيا الهوى فاذا   قلب الحبيب قسا، فالصلح يا قمري

القطيف..
مدينة تاريخية عريقة

بقلم : يوسف خالد أبو بشيت / هيئة التحرير





سعادة الاستاذ محمد عبدالرحمن الشريف، أمير منطقة القطيف يلقي الضوء على المشاريع التي نفذت والتي ما زالت تحت التنفيذ في المنطقة

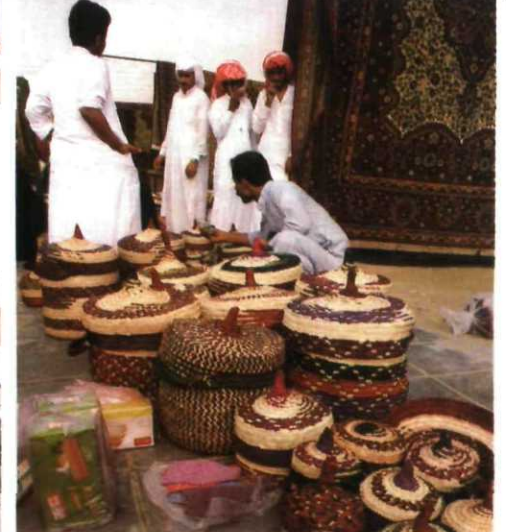
القطيف .. بفتح أوله، وكسر ثانيه، على وزن فعيل، من القطف، وهو القطع من العنب ونحوه.. انها مدينة بالبحرين هي اليوم قصبتها وأعظم مدنها[١]. وقد زارها ابن بطوطة وذكر انها مدينة ذات نخل كثير[٢]. ولعل اسمها في الاصل محرف عن «كيتوس — Cateus» الاسم القديم الذي ذكره مؤرخو اليونان لهذه المنطقة[٣]. وقد سميت القطيف أيضا بـ«الخَط» و«الخُط» كما يعرّفها بذلك ياقوت الحموي فيقول: «الخَط أرض تنسب اليها الرماح الخطية، ومن قرى الخط القطيف والعقير وقطر. والخُط: خُط عبدالقيس بالبحرين. وهو كثير النخل».

تلك هي القطيف.. المدينة التاريخية التي شهدت أرضها أمما وحضارات شتى كالكلدانيين والكنعانيين والفينيقيين والدلمونيين. حيث كانت القطيف حاضرة ذات شأن كبير في منطقة الخط والتي تعني الساحل الممتد من البصرة الى عُمان. وحول هذا الموضوع يقول المؤرخ الشاعر الأستاذ محمد سعيد المسلم: «القطيف مدينة ساحلية، وميناء مهم في الوقت نفسه. فالميناء يستقطب النشاط التجاري. والحضارات جميعها، في الغالب، تنشأ على ضفاف الأنهار وشواطىء البحار. فنجد بغداد نشأت على ضفاف دجلة، والاسكندرية وبيروت وصيدا وصور وقرطاجة، نشأت على شواطىء البحر الأبيض المتوسط. فأغلب المدن تؤسس على شواطىء البحار لا سيما اذا كانت على ملتقى الطرق التجارية، حيث تستقطب النشاط التجاري، وتتمازج ثقافتها وشعوبها مع الثقافات والشعوب التي تتصل بها. فكانت منطقة الخليج تعتبر بوابة الشرق والغرب، في الزمن القديم. أو كما يقولون همزة وصل بين تجارة الشرق والغرب. ولذلك استقطب الخليج حركة تجارية في شرق الجزيرة العربية، وتدفقت عليه أجناس سامية كالسومريين، الذين أنشأوا الحضارة الدلمونية. وكانت مدينة القطيف عاصمة اقليم البحرين في ادوار مختلفة، ففي القرن الأول والثالث والتاسع الهجري كانت عاصمته وازهى مدنه. واليها كانت تنسب الرماح الخطية الشهيرة»[٤].

ومما لا شك فيه أن الساحل الشرقي من شبه الجزيرة العربية قد لعب دورا مهما عبر العصور السالفة، حيث كان الملتقى الرئيسي لتجارة التوابل والعطور، التي كانت تصدر من موانىء القطيف وتاروت ودارين الى عدد كبير من دول العالم. «والى هذا الاقليم كانت القوافل تتجه من قلب الجزيرة مارة بالدهناء تنقل شتى البضائع التي اشتهرت بها المنطقة كتمر هجر، ومسك دارين، وثياب الظهران، ورماح الخط، وغير ذلك من السلع التي كانت تنتجها او ترد عن طريقها»[٥].

---

١ — معجم البلدان — ص/٣٧٨.
٢ — القافلة — عدد ذي الحجة ١٣٨٩هـ.
٣ — ساحل الذهب الأسود — الطبعة الثانية — محمد سعيد المسلم.
٤ — ساحل الذهب الأسود — الطبعة الثانية — محمد سعيد المسلم.
٥ — جريدة اليوم عدد الاثنين ٣ جمادى الاولى ١٤٠٦هـ من مقالة للاستاذ عبدالرحمن العبيد.









١ ـ مجموعة من السلال التي تصنع محليا في القطيف وتعرض في سوق الخميس الاسبوعي.
٢ ـ مدخل مدينة القطيف حيث يؤدي الى المركز التجاري بالمدينة والى جزيرة تاروت.
٣ ـ مجموعة من المباني السكنية الحديثة المنتشرة في كل من القطيف وسيهات.
٤ ـ جانب من متنزه سيهات وقد قامت البلدية مؤخرا باعادة تنسيقه وزراعته.

القطيف اليوم

تعتبر مدينة القطيف وما جاورها اليوم من المدن الصغيرة والقرى، جزءا حيويا من المنطقة الشرقية، حيث تتربع واحة القطيف المشهورة على جانب من الضفة الغربية للخليج العربي، شمال غرب مدينة الدمام، عند خط الطول ٥٠° وخط العرض ٢٦،٣٢°.

مناخ واحة القطيف مناخ قاري اذ تصل الحرارة في الصيف الى نحو ٤٤ درجة مئوية، ونسبة الرطوبة الى حوالي ٩٠٪. اما في الشتاء فتتراوح الحرارة ما بين ١٨ و٢٥ درجة مئوية، وتهب على المنطقة خلال شهري مايو ويونيه تقريبا، رياح موسمية حارة يطلق عليها أهل المنطقة اسم «البوارح». اما الرياح الجنوبية التي تهب على المنطقة فتسمى «الكوس» وهي رياح دافئة تحمل نسبة كبيرة من الرطوبة. اما نسبة سقوط الأمطار عليها فقليلة.

تحتل واحة القطيف مساحة تقدر بما يزيد على ١٦٠ كيلومترا مربعا تقريبا ويبلغ عدد سكانها حوالي ٨٩٠٠٠ نسمة موزعين على عدد من القرى تزيد على عشرين قرية. أما منطقة القطيف ككل فقد نمت واتسعت وأصبحت تضم عددا من المدن، والقرى الكبيرة، يبلغ عدد سكانها مجتمعة نحو ٢٥٠٠٠٠ نسمة. ومن أهم هذه المدن والقرى: سيهات، عنك، القديح، صفوى، العوامية، الملاحة، الجش، حلة محيش، ام الحمام، الجارودية، التوبي، ام الساهك، ابو معن، الاوجام، بالاضافة الى جزيرة تاروت، التي تشمل تاروت، ودارين، والربيعية، وسنابس، والزور وغيرها.

وفي لقاء لنا مع سعادة الاستاذ محمد عبدالرحمن الشريف، أمير القطيف، حدثنا عن أهمية المنطقة في الماضي والحاضر، وعن طبيعة المشاريع التي نفذت والتي ما زالت قيد التنفيذ. كما تحدث عن الامتداد العمراني في القطيف وما آلى اليه هذا التوسع من قيام أحياء حديثة اتصلت بالأحياء والقرى القديمة التي كانت تحيط بمنطقة القلعة.

المجتمع القطيفي

يضم المجتمع القطيفي أربع فئات هي: الصيادون، والفلاحون، والتجار، وموظفو الحكومة والشركات والمؤسسات. فالفئة الأولى تعتبر الممون الرئيسي لأسواق المنطقة الشرقية بالسمك، حيث يتم بيع وشراء كميات كبيرة من الأسماك بالمزاد العلني فجر كل يوم في سوق القطيف، ومنه يتوزع الى اسواق مدن المنطقة. بالاضافة الى نشاط الشركة السعودية للأسماك. وفي الآونة الأخيرة اشتهرت مدينة سيهات بسوق السمك، حيث يتوجه كثير من المواطنين والمقيمين عصر كل يوم، لجلب مختلف أنواع الاسماك الطازجة، والتي يصطادها الصيادون المحليون.

أما الفئة الثانية، فتنخرط في أعمال الزراعة، والتي كانت لفترة ماضية قريبة، المصدر الرئيسي لتزويد اسواق الدمام والخبر والظهران بالخضراوات والمنتجات الزراعية الأخرى. غير أن تزايد تعداد السكان في المنطقة جعل المصدر المحلي غير قادر على تلبية احتياجات سكانها من الخضراوات والفواكه. لكن هناك مؤشرات تنبيء بعودة نشاط القطاع الزراعي في القطيف الى سابق عهده وذلك بفضل اهتمام أهل المنطقة بالزراعة، وبفضل المساعدات التي تقدمها الدولة لتشجيع هذا القطاع وتنميته ورفع مستواه.

والفئة الثالثة، وهي فئة التجار، فتسهم بدور كبير في تنمية الاقتصاد الوطني عن طريق استيراد وتصدير مختلف أنواع السلع والبضائع.

وأما الفئة الرابعة، وهي تمثل الموظفين العاملين لدى الدوائر والمؤسسات الحكومية والشركات الوطنية، فينخرط منسوبوها في السلك الوظيفي الحكومي والمحلي، وقد التحق الكثيرون منهم بشركة ارامكو.





١ — احد بساتين النخيل المنتشرة في واحة القطيف.

٢ — تقدم الدولة للمزارعين القروض والاعانات اللازمة لتحسين مستوى انتاج الزراعة بالمنطقة.

٣ — جانب من أشجار الحمضيات التي تنتشر زراعتها في القطيف.

القطاع الزراعي

حبا الله واحة القطيف وتوابعها، منذ القدم، أرضاً طيبة معطاء ومياه وافرة. فشمر الفلاح القطيفي عن ساعديه لحرث الأرض واستصلاحها وزرعها واستغلال خيراتها الممثلة في ثمار النخيل، والحمضيات والفواكه والخضراوات. وكان لاكتشاف البترول في المنطقة الشرقية من المملكة، دور كبير في صرف معظم الفلاحين عن مزاولة الزراعة، فاتجهوا الى الانخراط في أعمال الزيت مما أدى الى كساد الزراعة واهمالها. وادراكا من الدولة لأهمية القطاع الزراعي في توفير الأمن الغذائي للسكان، قدمت الدعم السخي ووفرت الحوافز التشجيعية لهذا القطاع الهام الى جانب تقديم الاعانات والقروض للمزارعين حتى يقوم بدوره في هذا المجال الحيوي.

وفي حديث مع المدير العام لمديرية الزراعة والمياه في منطقة الدمام، الأستاذ محمد ابراهيم الخليل، عن منجزات المديرية في منطقة القطيف بشكل خاص، وفي المنطقة الشرقية بوجه عام قال: «ان السياسة الحكيمة التي تنتهجها حكومتنا الرشيدة ازاء القطاع الزراعي قد أدت الى نتائج ايجابية حيث انتشرت الواحات الزراعية الخضر هنا وهناك. وان الامكانات والوسائل الميكانيكية المتاحة للمزارعين قد ساعدت على تحويل الزراعة في هذه البقعة، من الزراعة اليدوية الى الزراعة الميكانيكية في فترة وجيزة، وكذلك استخدام المعدات والآلات الزراعية المتطورة بغية زيادة الانتاج الزراعي ورفع مستواه». وتبعا لذلك، أجريت في المنطقة قبل نحو سبع سنوات تجارب على زراعة الخضراوات في بيوت محمية اثبتت جدواها، فراج بذلك تطبيقها في المنطقة الشرقية. وقد مكنت هذه الطريقة المزارعين من زراعة ثلاثة أنواع من الخضراوات، بشكل رئيسي على مدار السنة تقريبا، وهذه الأنواع هي الخيار والطماطم والخس. كما فسحت هذه الطريقة الزراعية العلمية المجال أمام زراعة محاصيل زراعية أخرى في موسمي الربيع والخريف كمحصول البطاطس. وكان من ثمار تطور القطاع الزراعي في المنطقة قيام «الشركة الشرقية للتنمية الزراعية».

ومن جانب آخر، قامت مشاريع زراعية من شأنها تحسين وزيادة منتجات مزارع تربية الدواجن وتربية وتسمين الأغنام والعجول وغيرها من عناصر الثروة الحيوانية في أرجاء المنطقة الشرقية. وفي نهاية عام ١٤٠٥هـ، كان هناك ١٠٤ مشاريع لتربية الدواجن، منها ٤٧ مشروعا لانتاج بيض المائدة و٥٧ مشروعا لانتاج الدجاج اللاحم،



احدى مزارع الدجاج البياض في القطيف بالمنطقة الشرقية.

كما كان هناك عشرة مشاريع لتربية وتسمين الأغنام والعجول، منها أربعة في منطقة حفر الباطن وخامس لتربية وانتاج الأرانب، بالاضافة الى مشاريع انتاج الألبان الطازجة ومشتقاتها.

وعلى صعيد آخر، قامت الحكومة في عام ١٤٠٥هـ بتوزيع اراض زراعية في المنطقة وذلك لانشاء مزارع للخضراوات والفواكه. وقد بلغ حجم الواردات الزراعية المختلفة خلال العام نفسه، عن طريق المحجر الزراعي البيطري بالدمام ١ ٥١٢ ٤٧١ طنا. اما حجم الصادرات الزراعية فقد بلغت ١ ٤٢٧ ١٥٠ كيلوجراما، و٤٤٦ فسيلة نخيل، و١٣ ٢٩٦ شتلة زراعية.



المزارع المحمية اثبتت نجاحها في زيادة المحصول من الخضراوات.



ويتبع مديرية الزراعة فرعان: أحدهما في القطيف افتتح في عام ١٣٨٢هـ، ويقدم خدمات لحوالي ٢٤ مدينة وقرية بما فيها السفانية والنعيرية والخفجي، وثانيهما افتتح في عام ١٣٩٧هـ في حفر الباطن وتشمل خدماته حوالي ٤٣ مدينة وقرية، أهمها حفر الباطن والقيصومة، والسعيرة وغيرها. ويتبع المديرية كذلك ثلاثة محاجر زراعية بيطرية في الدمام والرقعي والخفجي، وذلك للكشف على النباتات والحيوانات المستوردة. ومن بين الأقسام الأخرى التي تقدم خدمات للمزارعين ومربي الحيوانات المختلفة: قسم الثروة الحيوانية، ومهمته تقديم الخدمات البيطرية للحيوانات والطيور بما فيها المعالجة والتحصين. وقسم وقاية المزروعات، ويتولى مراقبة المزروعات ومعالجتها من الآفات الزراعية. وقسم الارشاد الزراعي وتنحصر مهمته في تقديم المشورة والخبرة الفنية للمزارعين. وقسم تنمية موارد المياه، وتتعلق طبيعة عمله بشؤون المياه كحفر الآبار وغيرها. وقسم الاعانات الزراعية، ويعنى بتوزيع الاعانات المختلفة والمقررة من قبل الدولة كاعانات فسائل النخيل، والتمور، وبعض المحاصيل. وقسم التدريب الزراعي، ومهمته الاشراف على تدريب العناصر الفنية من مهندسين وفنيين وعمال، تابعين للمديرية وفروعها، وغير ذلك من الأقسام الأخرى.



جانب من مزرعة تربية الأرانب في مزرعة السيد عبدالله عثمان الفارس.

واستيفاء للحديث عن تربية الحيوانات والطيور اللاحمة، قمنا بجولة في مزرعة السيد عبدالله عثمان الفارس لتربية الأرانب. وهذا المشروع، الذي بدأ عام ١٩٧٨م كمشروع تجريبي ليكون مصدرا من مصادر اللحوم، يضم ٣٠٠ أرنبة تمثل الأمهات الاساسيات و٣٠ أرنبا ذكرا، حيث أن كل عشر ارانب انثى تحتاج الى ذكر واحد. وتستطيع الأم الواحدة أن تلد ٤٨ أرنبا في السنة، في ست ولادات. ومعروف أن الأرانب من الحيوانات الوُلّد.

البنك الزراعي العربي السعودي بالقطيف

من الروافد الأخرى التي أنشأتها الدولة لدعم ومساندة الزراعة في البلاد، البنك الزراعي العربي السعودي بالقطيف. الذي زاول مهامه منذ ١٣٨٤هـ. وأهم أهداف هذا البنك هو تقديم القروض والتسهيلات الائتمانية اللازمة للمساعدة على تنمية الزراعة والثروة السمكية في المنطقة وتشجيعها وانعاشها. ولإلقاء الضوء على بعض الانجازات التي حققها البنك في مجال عمله، التقينا بمديره المهندس الزراعي محمد عبدالله المعجل، حيث قال: «حقق البنك عن طريق القروض التي يقدمها لمختلف القطاعات الزراعية انجازات حيوية منها: رفع القدرة الانتاجية للزراعة عن طريق ادخال التقنية الزراعية الحديثة، وزيادة الموارد الاقتصادية الزراعية عن طريق التوسع الأفقي في الاراضي الصالحة للزراعة واستصلاح الاراضي في مناطق مختلفة، ومساعدة المزارعين في حل مشاكلهم، ورفع وتحسين الكفاءة التسويقية للسلع والمنتجات الزراعية. وكنتيجة لذلك وصلت المملكة في السنوات الأخيرة، ولله الحمد، الى حد الاكتفاء الذاتي من القمح وبعض منتجات الدواجن وأنواع من الخضراوات».

أما القروض التي يقدمها البنك الزراعي العربي السعودي بالقطيف، للمزارعين فهي على نوعين: قروض زراعية عادية، وقروض لمشاريع زراعية متخصصة. وتشتمل القروض الزراعية على قروض قصيرة الأجل وتتمثل في أجور حرّاثة، وقيمة بذور وأسمدة، وغيرها وهي قروض تسدد في مدة أقصاها سنة واحدة. وأخرى متوسطة الأجل، وتشمل تكلفة حفر الآبار الارتوازية، ومكائن ومضخات وأجهزة الري، والمحركات الكهربائية، والآليات الزراعية، وآلات البذر ونثر الأسمدة، والحصد، والمذاري، وقوارب الصيد، وخلايا تربية النحل. وقد بلغ عدد القروض التي قدمها البنك خلال الربع الأخير للعام المالي ١٤٠٥هـ/ ١٤٠٦هـ لاستثمارها في مشاريع زراعية متخصصة حوالي ٥٥ قرضا، بلغت قيمتها الاجمالية نحو ١٢.٥ مليون ريال.

بلدية القطيف

تقوم بلدية القطيف، وهي تتبع امانة مدينة الدمام، بدور رئيسي في خدمة مجتمع القطيف



عجول صغيرة حديثة الولادة في الحاضنة الخاصة بها.



المهندس الزراعي الاستاذ محمد عبدالله المعجل، مدير البنك الزراعي العربي السعودي بالقطيف.



المهندس الأستاذ زايد علي الجمعة، رئيس بلدية القطيف.

وتوابعها. «لقد نفذت بلدية القطيف خلال السنوات الثلاث الماضية، العديد من المشاريع الحيوية التي ساعدت على تطوير عدد من المدن والقرى لتواكب النهضة العمرانية التي تشهدها سائر مدن المملكة، وذلك بفضل الدعم الذي توفره لها حكومتنا الرشيدة». هذا ما قاله المهندس زايد علي الجمعة، رئيس بلدية القطيف. وقد شملت المشاريع التي نفذتها البلدية السفلتة والانارة، وبناء الأسواق، وتحسين وتجميل الشوارع والمداخل، وانشاء الحدائق العامة، بالاضافة الى المحافظة على صحة البيئة. أما المشاريع التي ما زالت قيد التنفيذ، فتشمل ردم المستنقعات وتغطية المجاري المكشوفة، وانشاء مزيد من الحدائق العامة.

وعن أهمية ادارة التخطيط بالبلدية، ونشاطاتها حدثنا المهندس ناصر محمد الكعبور، فقال: «تعتبر



المهندس ناصر محمد الكعبور، رئيس ادارة التخطيط بالبلدية، والمسؤول عن تنفيذ مراحل انشاء القرية التراثية بالقطيف.

هذه الادارة الشريان الرئيسي لتسيير أمور البلدية، حيث تقوم باعداد المخططات التنظيمية للأراضي الخاصة والعامة، وما يشتمل على ذلك من دراسة متخصصة لاستعمال الاراضي، وتحديد ارتفاع المباني. وتقوم حاليا باعداد دراسة لتحديد النطاق العمراني، للعشرين سنة القادمة لكامل منطقة القطيف».

ومن جانب آخر، هناك بعض المؤسسات أو الهيئات تسهم في تقديم خدمات كثيرة لمواطني القطيف وما حولها، كمركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف الذي يقدم خدمات في المجالات الصحية والاجتماعية والثقافية.

القطـــاع التعـــليمي

يولي المسؤولون في جهاز التعليم الحكومي هذا القطاع بكافة مراحله اهتماما بالغا. وقد شهدت القطيف مسيرة التعليم النظامي منذ حوالي ٣٨ عاما، وتحتضن الآن العديد من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية. وفي العام الدراسي ١٤٠٥/١٤٠٦هـ بلغ عدد مدارس المرحلة الابتدائية في مدن وقرى منطقة القطيف ٥٠ مدرسة احتضنت نحو ١٨٨٢٥ طالبا. بينما بلغ عدد المدارس المتوسطة نحو ٢٢ مدرسة التحق بها حوالي ٦٠٢٧ طالبا. اما مدارس المرحلة الثانوية فقد بلغ عددها ٨ مدارس ضمت قرابة ٢١٥٣ طالبا. بالاضافة الى مدرسة تحفيظ القرآن الكريم التحق بها ٩٤ طالبا.

ونظرا لتوسيع قاعدة التعليم، واتاحة الفرصة لأكبر عدد ممكن من المواطنين للالتحاق بهذا القطاع الحيوي، افتتحت وزارة المعارف مدارس مسائية لتعليم الكبار ومحو الأمية، أو للذين لا يتمكنون من الالتحاق بالمدارس النظامية. وقد بلغ عدد المدارس التي تعنى بتعليم الكبار ومحو الأمية في مدن القطيف وقراها حوالي ٢٣ مدرسة يؤمها حوالي ١٦٤٠ طالبا. أما عدد المدارس المسائية المتوسطة والثانوية فقد بلغ ٥ مدارس متوسطة ومدرسة ثانوية واحدة، وبالاضافة الى ذلك، هناك معهد النور الذي تأسس في عام ١٣٨٣هـ.

أما تعليم البنات فقد بدأ أهليا، وما أن أعلن عن قيام الرئاسة العامة لتعليم البنات حتى افتتحت المدارس لمختلف المراحل التعليمية في منطقة القطيف. وفي العام الدراسي ١٤٠٥/ ١٤٠٦هـ بلغ عدد مدارس المرحلة الابتدائية للرئاسة العامة لتعليم البنات ٦٧ مدرسة التحق بها نحو ١٩٥٠٠ طالبة. كما بلغ عدد المدارس المتوسطة ٢٦ مدرسة ضمت ٥٨٣٤ طالبة. و١٤ مدرسة ثانوية التحق بها نحو ٢٦٠٠ طالبة بالاضافة الى معهد المعلمات الذي درس فيه ٦٩ طالبة، ومركز التدريب على التفصيل والخياطة وقد التحق به ٦٥ طالبة، و٣٢ مدرسة لمحو الأمية انتظم فيها نحو ٢٥٠٠ طالبة، ومعهد النور الذي تأسس في عام ١٣٨٧هـ. وقد أسهمت ارامكو في بناء مدارس للبنين والبنات في منطقة القطيف وتعهدت بصيانتها وفقا لاتفاقية قائمة بينها وبين الحكومة منذ وقت طويل.



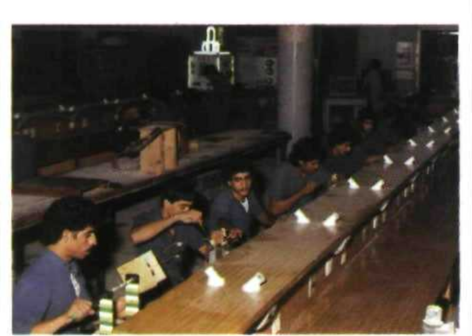
الثانوية التجارية بالقطيف.

مركز التدريب والاعداد المهني بالقطيف

يعتبر هذا المركز واحدا من خمسة وعشرين مركزا تابعا للمؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني المنتشرة في مناطق المملكة. وهو يضم حاليا ٨ أقسام هي: النجارة، والكهرباء، وميكانيكا السيارات، واللحام، والسباكة، والتبريد، والسمكرة، والراديو. وقد تخرج في المعهد حتى نهاية عام ١٤٠٦هـ حوالي ٨٢٠ متدربا من مختلف التخصصات في الفترة الصباحية. أما الفترة المسائية فقد التحق بها خلال العام نفسه حوالي ٢٠٠٠ متدرب.



الاستاذ حسين علي عبدالعال، مدير مركز التدريب والاعداد المهني بالقطيف.



يتولى مركز التدريب والاعداد المهني بالقطيف تخريج عدد من الفنيين والمهنيين في مختلف التخصصات الحرفية.

وحول سؤال عن المدة التي يقضيها المتدرب في المركز، أجاب الاستاذ حسين علي عبدالعال، مدير المركز قائلا: «تختلف المدة التدريبية التي يقضيها المتدرب في المركز من تخصص الى آخر، حيث تعتمد المدة على المهارات المطلوبة لكل مهنة. ومن ذلك نجد أن المدة تتراوح ما بين أربعة عشر شهرا وثمانية عشر شهرا، يتخرج المتدرب بعدها وقد اتقن مهنته بشكل جيد».

الأدب والأدباء في الواحة

أنجبت منطقة القطيف على مر العصور نخبة من الشعراء والأدباء، استوحوا من هذه الواحة وطبيعة خضرتها ومياهها مادة شعرهم فأغنت ملكاتهم وشحذت قرائحهم.. وكان من بين أولئك الشعراء البارزين طرفة بن العبد، والمتلمس، والمثقب العبدي، والشيخ جعفر الخطي، وغيرهم.

وفي اوائل الأربعينات من القرن الحالي، اشتهر في المنطقة عدد من الشعراء أمثال خالد الفرج، والشيخ عبدالحميد الخطي، ومحمد سعيد الجشي، وعبدالواحد الخنيزي، وعدنان العوامي، والسيد حسن أبو الرَّحي. ومن الشعراء المعدودين في ساحة



المؤرخ الشاعر الأستاذ محمد سعيد المسلم في مكتبته الخاصة بمنزله بالقطيف.

الفكر والأدب في القطيف الشاعر محمد سعيد المسلم الذي صدر له عدة دواوين نختار له من ديوانه «عندما تشرق الشمس» قصيدة يخاطب فيها ابنه «فائز» حيث يقول:

انت يا ريحانتي
نهر بصحراء حياتي
سألاقي حينا أعطش
في نبعك ريًا
انت لي كالواحة الخضراء
في قلب الفلاة
كلما اشتد هجير الصيف.. القى
عندها ظلا وَفيًا

○ ○ ○

يا شقيق الروح
يا أخلص انسان اليًا
انت لي خير قريب وصديق
اذ خبرت الأصدقاء
وعجمت الأقرباء
ولقد غربلتهم في منخل
فتهاووا كالنفايات
وعز الأوفياء
ووجدت الأهل.. في شخصك
والخل الوفيًا
يا بنيًا

وهناك شعراء آخرون كالشاعر عبدالحميد الخطي الذي يقول في قصيدة له عن القطيف:

قالوا القطيف فقلت غاية قصدنا
الق المراسي ايها الربان
وافيته والبدر يبسط نوره
فوق الضفاف وترقص الشطآن
وعليه من نسج المساء ملاءة
صفراء باهتة بها الالوان
والسفن اسراب تروح وتغتدي
نوعان: ذا وان وذا عجلان
والشرع هامسة الشعاع كأنه
نفضت جناحا في الفضا العقبان

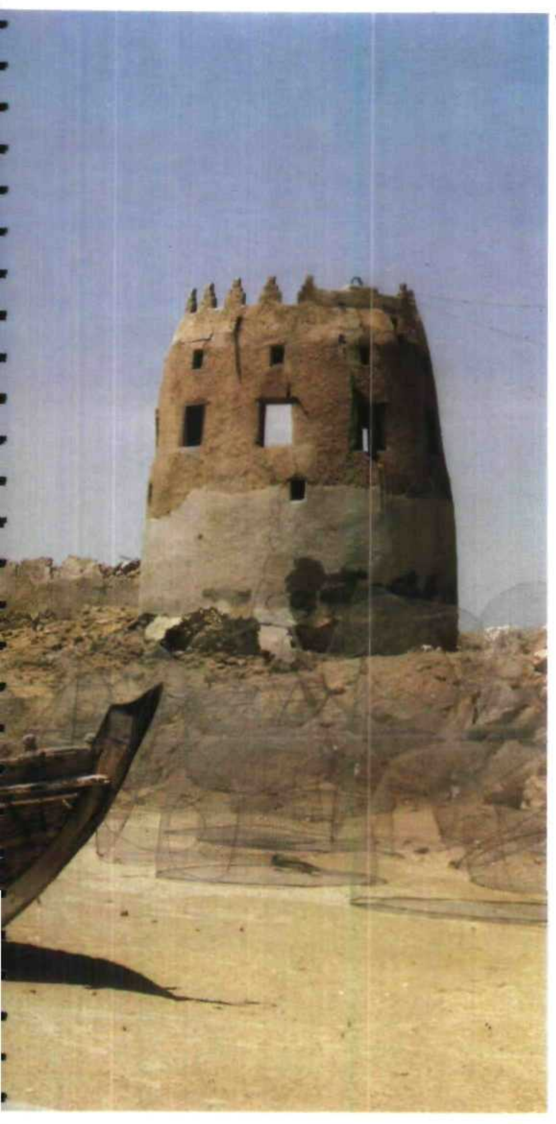
والشعراء الشباب من أبناء القطيف لهم دور جيد في مضمار الفكر والأدب. ومن هؤلاء الشاعر محمد رضي الشماسي والذي يقول في قصيدة له عن الاحساء:

ذكروا الأحساء فغنت طربا
نفسي الولهى لأيام الصبا
ذكروا الأحساء وقد شوقني
ان اراها جنة نفح الصبا
ذكروها فانتشى قلبي الذي
ما غفا عنها وما قط نبا
ذكرها المعسول بالحب جوى
في فؤادي لم يزل ملتهبا
كلما عنّت بقلبي دغدغت
في هواه البكر هاتيك الربى

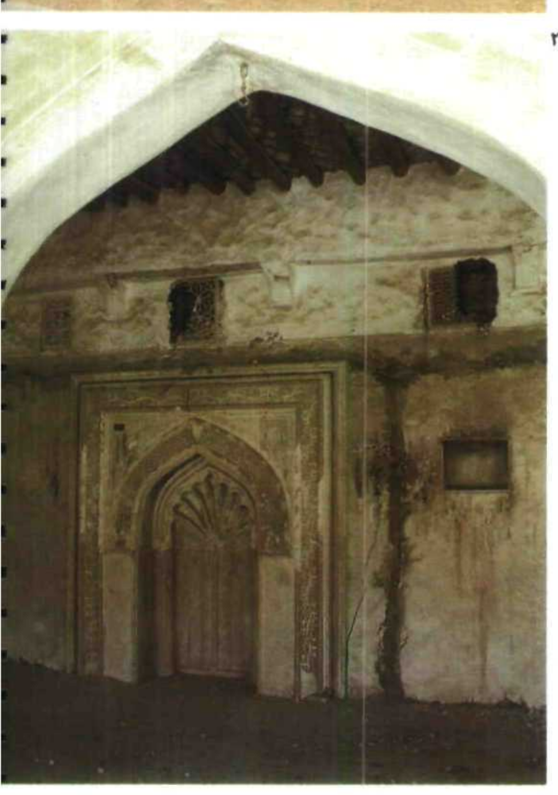
الأماكن الأثرية والشعبية بمنطقة القطيف

منطقة القطيف غنية بالمواقع الأثرية التي تعكس أهمية هذا الجزء الشرقي من الجزيرة العربية في عصور سالفة متعددة. وسنستعرض هنا أهم الأماكن الأثرية والشعبية فيها:

١



٢



جـَـزيرة تاروت

كانت هذه الجزيرة فيما مضى موطنا للفينيقيين والبرتغاليين. كان يفصل بينها وبين مدينة القطيف مخاضة يقطعها السكان بأرجلهم عند أدنى مستوى للجزر. وبالقوارب الصغيرة عند أعلى مستوى للمد. أما اليوم فقد أصبحت شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاث جهات: الشمالية والشرقية والجنوبية. اما الجهة الغربية فقد اتصلت بمدينة القطيف عبر شارع فسيح معبد ذي اتجاهين. وعلى جانبي الطريق (مكان المخاضة سابقا) أقيمت أحياء سكنية جديدة. وتقدر مساحة الجزيرة حاليا بنحو ٢٥ كيلومترا مربعا. وهي تشتمل على خمس مدن وقرى هي: تاروت (المدينة الرئيسية). الربيعية، سنابس، الزور، ودارين. التي كانت فيما مضى ميناء تجاريا مشهورا، والتي ورد ذكرها في التاريخ الاسلامي والشعر العربي. حيث قال الأعشى:

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم
ويخرجن من دارين بجر الحقائب

وأهم ما يميز جزيرة تاروت حاليا، قلعتها التي تحتل موقعا أثريا هاما يعود الى الألف الثالث قبل الميلاد. وقد قامت ادارة المتاحف والآثار بالمنطقة بمسح جميع الأماكن الأثرية فيها، وهي بصدد اعداد دراسة شاملة عن الجزيرة.

ويرى الاستاذ عبدالرحمن عبدالكريم العبيد أن الجزيرة كانت تعرف بجزيرة دارين وليس بتاروت. وقد استند في ذلك الى بعض الأقوال، منها ما ذكره الاستاذ حمد الجاسر: «ولكن الجزيرة عرفت بدارين التي كانت من أشهر موانىء شرق الجزيرة لأنها واقعة في رأس داخل في البحر تستطيع السفن بلوغها بسهولة بخلاف بلدة تاروت التي تحيط بها خلجان من البحر ليست عميقة المياه في كل وقت[٧]».

والواقع ان اسم الجزيرة لا يغير من الحقيقة شيئا، فهي منطقة تعاقبت عليها، في الازمان الغابرة، حضارات وأمم متعددة.

وفي دارين معلم تراثي، وهو منزل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، احد تجار اللؤلؤ المشهورين في الخليج. ولعل الأهمية التاريخية لهذا المعلم التراثي لا تكمن في المبنى ذاته، بل في التل الذي يحتضن المبنى. حيث عثر بجانبه على مسكوكات فضية، يعود تاريخها إلى فترة فجر الاسلام.

٧ — مقالة للاستاذ عبدالرحمن العبيد بجريدة اليوم عدد الاثنين ٧ رجب ١٤٠٦هـ.



٣

١ — قارب صيد صغير تركه أصحابه امام انقاض منزل الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدارين.

٢ — جانب من مسجد الراجحية بالقلعة في القطيف، وهو مسجد أثري قديم مكون من دورين.

٣ — منظر داخلي لبيت منصور اخوان الذي نزعت الدولة ملكيته لتحويله، وبيوت أخرى مماثلة، الى قرية تراثية.

لقطة جانبية لأحد بيوت القلعة بالقطيف.

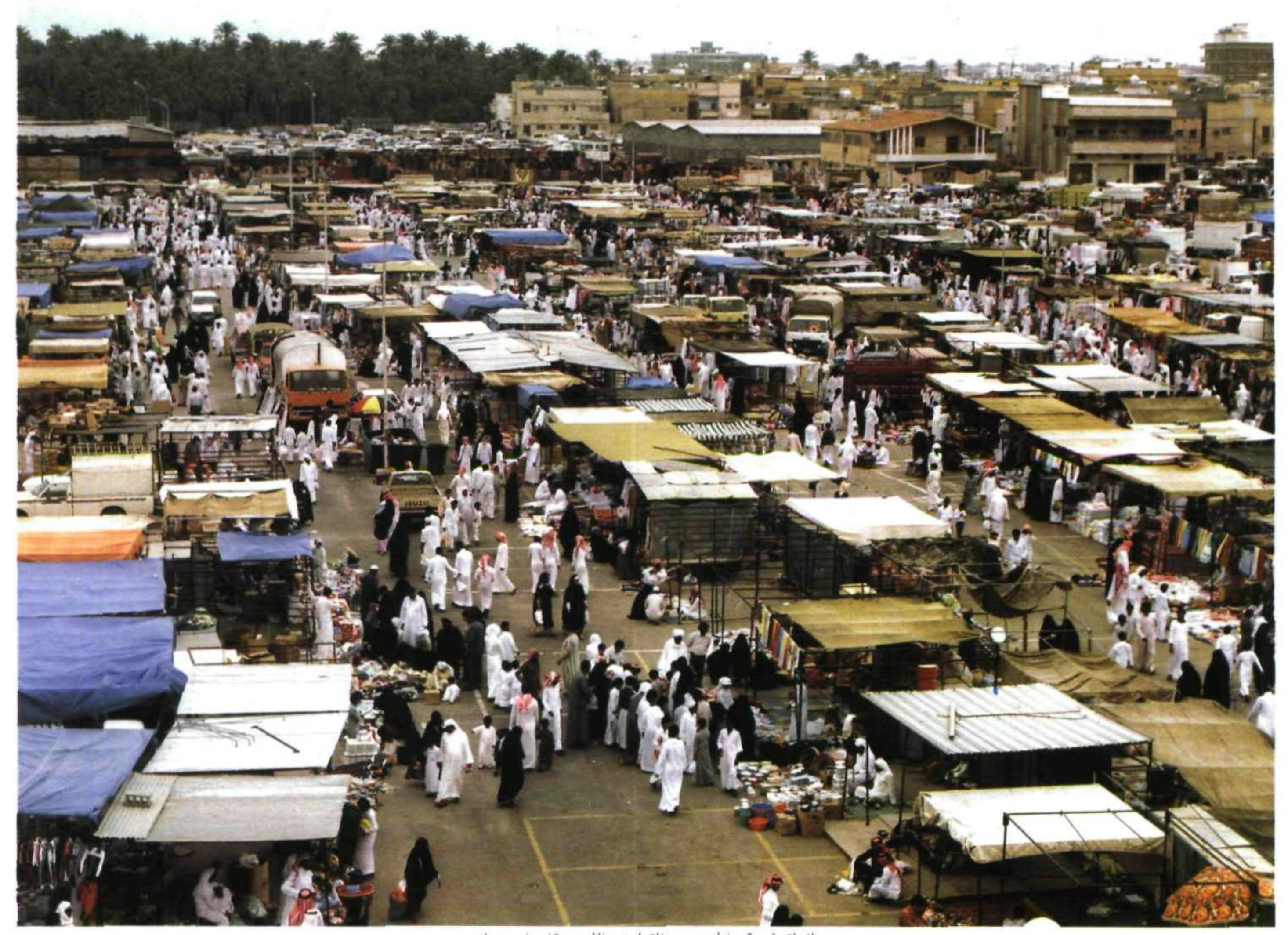
قلعة القطيف

تشير الدلائل التاريخية الى أن سواحل المنطقة الشرقية بما فيها القطيف كانت مهدا لشعوب عريقة. ولعل قلعة القطيف، التي كانت فيما مضى محاطة بسور لحمايتها من الغزاة، ربما تكون هي نفسها التي بناها «اردشير بن بابك» (٢٢٦ — ٢٤١م)[٨].

وقد بدأت القطيف كموطن استيطاني صغير على شاطىء الخليج العربي. ومع مرور الأيام سوّرت حاضرتها «القلعة» سور يبلغ سمكه نحو مترين، وارتفاعه نحو ٩ أمتار. وله ابراج شاهقة مستديرة الشكل يبلغ عددها حد عشر برجا وقد شكل ذلك السور أول حي من أحياء القطيف أطلق عليه اسم «القلعة». وتدل الكتابات التى كانت محفورة على أجزاء من أحجاره على أنه «بني في عهد السلطان سليم الثاني العثماني في القرن العاشر الهجري، بينما يبدو أنه أسس قبل هذا التاريخ بزمن بعيد»[٩].

٨و٩ — ساحل الذهب الاسود.


جانب من الطرق المسقوفة المؤدية الى القلعة.



لقطة لسوق الخميس بالقطيف الذي يقام اسبوعيا.

وكان للقلعة أربعة أبواب تفتح في النهار وتغلق في الليل، وهي: باب الشرق ويسمى دروازة البحر، وباب الغرب ويسمى دروازة باب الشمال، وباب الجنوب ويسمى دروازة السوق، وباب الشمال ويصلها بالكوت وهو حصن صغير. والقلعة بشكلها البيضاوي تنقسم الى أكثر من (فريج)، أي فريق، ويجمع على (فرجان)، أي فروق، وأهمها أربعة هي:

- فريق الخان وهو في الجهة الغربية.
- فريق السدرة وهو في الجهة الجنوبية الشرقية.
- فريق الزريب وهو في الجهة الشمالية الغربية.
- فريق الوارش وهو في الجهة الشمالية الشرقية.

وقد قامت بلدية القطيف مؤخرا، بنزع ملكية بعض بيوت القلعة وسورتها استعدادا لتحويلها الى معلم ومتحف تراثي.

وفي منطقة القطيف عدد من المواطنين ممن اهتموا بجمع التراث وحفظه من الضياع، باقامة متاحف مصغرة في منازلهم. نذكر منهم الشيخ محمد صالح الفارس الذي ضم متحفه الصغير كثيرا من المقتنيات الأثرية التي يعود تاريخ بعضها الى الحضارة الفينيقية. والحاج علي بن ابراهيم التاروتي[10] الذي يحتفظ بمجموعة لا بأس بها من المقتنيات الأثرية بمنزله في تاروت.

سوق الخميس

يتردد الكثير من المواطنين والمقيمين في واحة القطيف ومدن الدمام والظهران والخبر وما حولها على سوق الخميس بالقطيف الذي اتخذ اسمه من اليوم الذي يقام فيه. وهو من الأسواق القديمة حيث يجتمع عدد كبير من الباعة، من داخل الواحة وخارجها، لعرض أصناف متعددة من البضائع والسلع المصنعة محليا منها والمستوردة.

عيون الواحة

اشتهرت واحة القطيف بعيونها الطبيعية. ومن العيون ما قل ماؤها حاليا، ومنها ما زال جاريا بشكل طبيعي، ومنها ما أهمل حتى كاد يتوقف جريان الماء فيها. ومن أهم العيون التي تحتضنها الواحة: حمام ابو لوزة، عين الربيانة، عين المصونة، عين المنصوري، عين أم السباع، عين المليح، عين مياله، عين داروش، عين أم عمار، وغيرها.

تلك هي واحة القطيف التي ما زالت تمد أهلها وما حولها بالخير والعطاء الكثير، وستبقى واحة غنية بتراثها ورجالها كما وصفهم الشاعر العربي:

فقد كان في اهل القطيف فوارس
حماة اذا ما الحرب شدت بيذبل □

١٠ — جريدة اليوم العدد ٤٥٤٩.

تصوير: عبدالله يوسف دبيس/ ارامكو

أخطاء شاعت حديثاً في لغتنا الجميلة

بقلم: د. علي علي مصطفى صبح / أبها

المحافظة على لغتنا العربية وفصاحتها، هو في ذاته الحفاظ على العقيدة والشريعة الاسلامية، لأن لغتنا هي لغة القرآن الكريم.. قال تعالى:

﴿**وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين**﴾[1].

لذلك يجب علينا أن نتوخى الفصيح في الكلام، ولا أقصد الغريب من اللغة، ولا المتقعر فيها، ولا الوحشي منها، بل الذي أقصده هو الألفاظ السهلة العذبة القريبة.

فالقرآن الكريم مع اعجازه وقمة بلاغته، ليس فيه لفظ صعب ولا متقعر، بل ألفاظه سهلة عذبة قريبة، يفهمها العامة والخاصة على السواء، ويفسرها حسب قدرته اللغوية ومدى سعة ثقافته وثرائه الفكري والحضاري.

واللغة العربية غنية بألفاظها وأساليبها ومترادفاتها، وثرية بعباراتها الدانية المألوفة، ومع هذا اليسر الواضح فان اللسان العربي في الكتابة والصحافة والمجلات، والكلام والاحاديث والحوار يقع في أخطاء شاعت بين الناس، حتى ظن النشء والجيل المعاصر، بل اعتقد بانها نابعة من لغتنا العربية الفصيحة، وسنعرض بعض هذه الأخطاء الشائعة لنقف على الصواب فيها.. من هذه الأخطاء:

يتردد على اللسان ويشيع في الكتابة: «**فخذ نحيل**»، و«**فخذ ثخين**»، وهذا خطأ في الاستعمال. والصحيح في لغتنا الجميلة: «**فخذ نحيلة**»، و«**فخذ ثخينة**». وهكذا في كل عضو من الأعضاء المزدوجة في الانسان والحيوان فهذه الأعضاء مؤنثة وليست مذكرة، مثل:

الكف والذراع واليد والكتف والفخذ والرجل والقدم: تقول: له «**ذراع طويلة**»، و«**كف عريضة**».

ما عدا: الحاجبان والخدان والمنخران. تقول «**حاجب غزير**» و«**منخر واسع**»، و«**خد ضامر**».

أما الأعضاء غير المزدوجة فتستعمل مذكرة، مثل: القلب والرأس واللسان. تقول: «**قلب رحيم**»، و«**لسان بليغ**». ويجري على اللسان ويشيع في الكتابة أيضا: «**امرأة حائضة**» و«**امرأة طالقة**». وهذا خطأ في الاستعمال، والصواب: «**امرأة حائض. وطالق**».

لأن كل وصف تختص به الإناث دون الذكور لا يحتاج الى تاء التأنيث، بل هو بصيغته يدل على التأنيث، مثل «**حامل. وحائض، وطالق، ومرضع**».

أما قوله تعالى: ﴿**يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت**﴾[2] فلها مقام آخر يتناسب مع اليوم الآخر وهو القيامة.

ويشيع على اللسان وفي الكتابة أيضا: «**رجل صبور**» و«**امرأة صبورة**»، و«**رجل مقوال**»، و«**امرأة مقوالة**». وهذا خطأ في الاستعمال، والصواب في الاستعمال الصحيح: «**امرأة صبور**»، و«**امرأة مقوال**». فان هذا الوزن يستعمل مع المؤنث بدون تاء التأنيث لأن القاعدة تقرر:

ان صيغة المبالغة التي على وزن **فعيل** قد يتساوى في الوصف

---

(١) الشعراء: آيات ١٩٢ — ١٩٥.

(٢) الحج: آية ٢.

بها المذكر والمؤنث مثل ما سبق.

ويتساوى أيضا وصف المذكر والمؤنث في هذه الاستعمالات لصيغ المبالغة مثل:

ما كان على وزن **مفعال**: «**رجل مسراف**»، و«**إمرأة مسراف**».

وما كان على وزن **فعيل**: «**رجل فهيم**»، و«**امرأة فهيم**».

وما كان على وزن **فعول**: «**رجل صبور**»، و«**امرأة صبور**».

وما كان على وزن مفعيل: «**رجل معطير**»، و«**امرأة معطير**»[٣].

شاع في الكتابة جعل الألف همزة، والهمزة ألفا مثل: «**اسلام**» بدون همزة قطع لتكون همزة وصل. والصواب «**إسلام**» تكتب بهمزة القطع. وكذلك «**إنطلق**» تكتب بهمزة قطع، والصواب انها تكتب ألف وصل بدون همزة «**انطلق**» وغير ذلك من الكلمات المبدوءة بالألف أو الهمزة التي شاع خطؤها في الكتابة والنطق. وهناك قاعدة سهلة يستطيع الرجل العامي في الشارع أن يطبقها غالبا بسهولة وهي:

ادخال حرف «الواو» حرف العطف على الكلمة المبدوءة بالألف فان ظهرت الهمزة في النطق كتبت همزة لا ألف وصل، وإن لم تظهر الهمزة في النطق كتبت الف وصل مثل: «**وإسلام**»، «**وأمجاد**» «**وأبطال**» فهذه همزة قطع.

اما اذا قلت: «**وانطلاق**»، **واستخراج**»، واضرب لهم مثلا رجلين، فهذه ألف وصل وليس همزة قطع.

شاع على اللسان أيضا التغيير في المخرج الصوتي لحرف «القاف» فينطقها كثير من الناس بين الكاف والجيم، ويقرأون بها القرآن على هذه الصورة وهو أخطر ما يكون على لغة القرآن والبعض الآخر ينطقون «**القاف**» همزة.

والصواب في ذلك انها تنطق كما نطق بها العرب ونزل بها القرآن غير مخففة ولا مختلطة بالكاف والجيم بإطباق أعلى الحلق بأسفله كما وردت في كتب اللغة، ويجري استعمالها كذلك ولا تنطق همزة[٤].

يشيع كثيرا في الكتابة والنطق استعمال كلمات (**اعتبر، ويعتبر، واعتبر**) بمعنى (**أعدّ، ويعدُّ، وأعدد**). وهذا خطأ في الاستعمال والصواب في تصوير هذا المعنى أن نقول ونكتب (**أعد، ويعد، واعدد**)؛ لأن **اعتبر** مأخوذ من **الاعتبار** وهو الوعظ والاتعاظ، وليس معنى الوعظ هو معنى **الإعداد** فالمعنيان مختلفان.

يشيع في لغة التحادث وفي الكتابة هذا التعبير: **رغم كذا، ورغم ما حدث**.. وهذا خطأ، والصواب: **على الرغم من كذا — وعلى الرغم مما حدث**، وهذا هو ما ورد في الاستعمال العربي الصحيح والفصيح عند العرب في كلامهم.

وشاع أيضا كلمة «**مدراء**» جمع «**مدير**» في الخطابة والكتابة وهذا خطأ في الجمع. والصحيح في جمع «**مدير**» هو «**مديرون**» وأن يجمع جمع مذكر سالم لا جمع تكسير،[٥] ولم يرد عن العرب أنهم جمعوها على صورة جمع التكسير؛ لأن صيغ الجموع يرجع فيها بعد القياس الى المسموع عند العرب الفصحاء.

كثيرا ما يقع الخطأ في استعمال العدد بالحروف والكلمات فيقع كثيرا نظير هذا القول: «**ثلاث كتب**»، و«**سبعة تفاحات**».

والصواب: «**ثلاثة كتب**»، و«**سبع تفاحات**». لأن القاعدة في العدد من ثلاثة الى تسعة أن العدد يؤنث مع المعدود المذكر، ويذكر مع المعدود المؤنث، أي على العكس بين العدد والمعدود في التذكير والتأنيث. فالعدد «**أربعة**» اذا استعملناه مع القلم — وهو مذكر — لا بد من تأنيثه، نقول: «**أربعة أقلام**». وإن استعملناه مع المسطرة — وهي مؤنثة — لا بد من تذكيره نقول: «**أربع مساطر**»... وهكذا.

اما واحد واثنان، وثالث، ورابع، وخامس، وسادس وسابع، وثامن، وتاسع، وعاشر. فالعدد فيها يذكر مع المعدود فنقول «**الطالبة الثالثة**» و«**الطالب الثالث**». وأما العقود في الأعداد وهي عشرون، وثلاثون، وأربعون، وخمسون، وستون، وسبعون، وثمانون، وتسعون، فلا تتغير مع المذكر والمؤنث، وتظل على حالة واحدة نقول. «**خمسون كتابا**» و«**خمسون تفاحة**»[٦].

شاع في الكتابة كثيرا وخاصة عند الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين، وحصلوا على درجات علمية من الغرب أو بعبارة أدق «المستغربون»، شاعت كلمات عندهم ليست صحيحة ولا فصيحة ولكنها من توليد المستشرقين نذكر منها في هذا المقال كلمات: «**اللاخلاقية**»، «**اللامبالاة**»، «**اللامفهوم**»، «**اللانحراف**» وغيرها مما يتخذ هذا الشكل من التعبير الخاطىء، والتي يضاف النفي «**بلا**» الى الكلمة لتعبِّر عن معناها المنفي لا المثبت كما يقولون اختصارا، وهذا خطأ وبعيد عن الصواب. والصواب في الاستعمال العربي الصحيح أن نقول: «**غير الاخلاقية**». و«**بلا مبالاة**» **أو** «**بدون مبالاة**». و«**غير مفهوم**». و«**غير انحراف**» أو «**بلا انحراف**».

فندخل حرف النفي «**لا**» أو ما في معناها مثل «**دون**» **أو** «**غير**» مفصولا عن الكلمة المراد نفيها، ومستقلا عنها في الكتابة والنطق معا. وهذا هو ما ورد عن العرب الفصحاء في استعمالاتهم لمثل هذا المنفي.

وليست هذه كل الأخطاء الشائعة في الكتابة والأحاديث بين الناس، ولكن هناك أخطاء شائعة كثيرة نحتاج الى عرضها في مجالات أخرى لكي نحافظ على لغتنا العربية لغة القرآن الكريم، وهي لغة حية خالدة الى يوم القيامة لأنها تحمل رسالة خالدة، ومن العجيب ان إسرائيل تقوم بإحياء اللغة العبرية وهي لغة جامدة ميتة ولغة رسالة منسوخة برسالة الاسلام وشريعة القرآن، والذي نزل لهذه الأمة بلسان عربي مبين قال تعالى: ﴿**قرآنا عربيا غير ذي عوج**﴾ □

---

(٣) انظر «منار السالك الى أوضح المسالك»: باب التذكير والتأنيث.

(٤) شرح ابن عقيل: «باب همزة الوصل والقطع».

(٥) انظر «منار السالك الى أوضح المسالك»: باب جمع التكسير.

(٦) «شذور الذهب»: باب تمييز العدد.

عبدالقدوس الأنصاري

علامة المدينة وصاحب المنهل

بقلم : د. مصطفى ابراهيم حسين/الرياض

هو عبدالقدوس بن القاسم بن محمد بن محمد الانصاري البرمي. ولد بالمدينة المنورة — على ساكنها افضل الصلاة وأزكى السلام — في عام ١٣٢٤هـ، ودرس بالحرم النبوي الشريف، على أيدي طائفة من علماء المدينة، كانوا، آنذاك، يقومون بالتدريس في حلقات علمية، زخرت بها ساحات المسجد النبوي الشريف. وكان عبدالقدوس الانصاري في الحادية عشرة من عمره، وأبرز شيوخه، وقتها، خاله الشيخ محمد الطيب الانصاري، وتلقى عليه كتاب «قوة الابصار في سيرة المشفع المختار» للمغربي، وهو منظومة في السيرة النبوية، كما درس عليه، أيضا، جملة من كتب التفسير والحديث والبلاغة واللغة والعروض.

وفي عام ١٣٤١هـ انتقل الشيخ محمد الطيب الانصاري الى مدرسة العلوم الشرعية، التي كان قد أسسها بالمدينة المنورة الشيخ أحمد الفيضي آبادي، وتولى الشيخ محمد الطيب ادارة المدرسة والتدريس بها، وحرص على أن يلحق بالمدرسة تلميذه عبدالقدوس. وقد كانت هذه المدرسة من أبرز المعالم في تاريخ التعليم بالمملكة العربية السعودية.

وفي مدرسة العلوم الشرعية درس الشيخ عبدالقدوس دراسة موسعة في علوم مختلفة، فتتلمذ في الرياضيات على السيد أحمد الفيضي مؤسس المدرسة، ودرس بها علم الفرائض على الشيخ عبدالغني مشرف، وفن الخط على الشيخ شكري خوجة. كما كانت دراسته الموسعة للأدب على شيخه الأول: الشيخ محمد الطيب الانصاري، شيخ علماء المدينة، رحمه الله.

وفي عام ١٣٤٦هـ، حصل الشيخ عبدالقدوس الانصاري على الشهادة العالية من مدرسة العلوم الشرعية، ليبدأ بعدها مرحلة جديدة من نضال علمي جليل.

في المجال الوظيفي

قضى الشيخ عبدالقدوس، يرحمه الله، شطرا كبيرا من حياته في السلك الوظيفي، فبدأ حياته كاتبا فسكرتيرا للجنة الاسعاف الطبي ولجنة الصدقات. وكان، في الوقت نفسه، يقوم بتدريس مادة الأدب العربي بالمدرسة التي كان يوما طالبا بها، وهي مدرسة العلوم الشرعية.

ثم انتقل الشيخ، يرحمه الله، الى مكة المكرمة، فعمل بها رئيسا لتحرير جريدة «أم القرى»، وعمل على تطويرها واثرائها بالمادة الأدبية، وتشجيع ناشئة الأدباء على نشر نتاجهم على صفحاتها. ثم عمل في ديوان سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز «جلالة الملك فيصل فيما بعد». وكان سموه، يرحمه الله، نائبا لوالده جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، يرحمه الله، على منطقة الحجاز. وكان راتبه من الوظيفة يوفر له القدر المعقول من

الأمن النفسي، ويعينه بالتالي، على ممارسة نشاطه الأدبي والفكري. وحين استشعر الرجل أن الوظيفة تشكل عائقا عن مزاولة هذا النشاط، تخلى عنها وتركها. وهكذا كان هذا الجيل من الأدباء، الذين لم يتخذوا الأدب وسيلة للاثراء وجمع المال. وإنما كان هدفا ورسالة، وكانت الوظيفة مسخرة لتحقيق طموحهم الأدبي.

مؤلفات الأنصاري

ونثبت هنا أهم هذه المؤلفات التي نيفت على ثلاثين مؤلفا، ثم نتبع هذا الثبت ببعض الملاحظة والتعقيب:

- «التوأمان»، وهي رواية صدرت في عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، وكانت سنه، آنذاك، في نحو الرابعة والعشرين. وهي أول رواية في تاريخ الأدب السعودي الحديث.
- «الانصاريات»، ديوان شعره.
- «تاريخ مدينة جدة»، في مجلدين. وقد صدر في ثلاث طبعات، كان آخرها عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- «آثار المدينة المنورة». صدر في ثلاث طبعات، كان آخرها عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- «بناة العلم في الحجاز الحديث». وهو تراجم لأدباء وعلماء صدر عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.
- «بين التاريخ والآثار». صدر عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- «بنو سليم»، بحث في التاريخ والأدب، صدر في عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- «مع ابن جبير في رحلته»، وهو عرض وتحليل لواحد من أهم النصوص في أدب الرحلة عند العرب، وصدر في عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٧م في طبعته الأولى.
- «رحلة في كتاب من التراث»، وقد صدر في العدد الخامس والعشرين من سلسلة «المكتبة الصغيرة» (ربيع الآخر عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م). وقد تناول المؤلف بالعرض والتحليل كتاب «بدائع البدائه» للأزدي، والذي يضم روائع الأشعار التي قالها أصحابها على البديهة.
- «تاريخ العين العزيزية بجدة»، ولمحات عن مصادر المياه في المملكة العربية السعودية. وقد صدر في عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- «التحقيقات المعدة بختمية ضم جيم جُدة»، بالاشتراك مع الاستاذين أبي تراب الظاهري، وعبدالفتاح ابي مدين صدر عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
- «تحقيق امكنة مجهولة في الحجاز وتهامة»، وقد صدر في عام ١٣٧٩هـ.
- «طريق الهجرة النبوية»، وقد صدر في عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- «الملك فيصل في مرآة الشعر». وهو، في الأصل، بحث شارك به الأديب الكبير في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين بمكة، ونشره المؤتمر في المجلد الثاني. كما أصدره الباحث في كتاب مستقل عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- «مع شاعر العرب عبدالمحسن الكاظمي».
- «اصلاحات في لغة الكتابة والأدب»، صدر في عام ١٣٥٢هـ.
- «الصيام وتفاسير الاحكام».

هذه قائمة ببعض ما صدر للشيخ عبدالقدوس الانصاري من مؤلفات. ولكننا ما زلنا بحاجة الى قائمة ببلوغرافية دقيقة ترصد لنا مؤلفاته، وكذا ابحاثه المنوعة بين الأدب والتاريخ والآثار والعمران والدين والسياسة. ونظرة الى القائمة التي اثبتناها بمؤلفات الأنصاري تسلمنا الى جملة من الملحوظات نوجزها فيما يلي:

- ان الشيخ عبدالقدوس الانصاري، يرحمه الله، قد تنوع انتاجه بين الابداع: قصة وشعرا، وبين العلم: بحثا وتحقيقا.
- انه، وان مارس الابداع الأدبي، الا أن البحث العلمي والتحقيق، ما لبث أن غلب عليه.
- انه ذلك العالم الموسوعي الذي امتدت مواهبه الى آفاق شتى من المعرفة: تاريخا وآثارا وأدبا ولغة وعلوم دين.

صاحب المنهل

اقترنت مجلة المنهل، منذ صدورها عام ١٣٥٥هـ حتى اليوم باسم منشئها عبدالقدوس الانصاري، الذي استطاع بصبره واخلاصه وقوة اصراره، أن يجعلها المجلة الوحيدة، في تاريخ الصحافة العربية، التي صمدت أمام كل الصعوبات، على مدى أكثر من خمسين عاما، مع أن مؤسسها فرد وليس هيئة رسمية. وعلى مدى هذا العمر الطويل الذي عاشته «المنهل» لم تحتجب عن قرائها الا تحت وطأة أزمة الورق، في غضون الحرب الكبرى الثانية. وهي أزمة واجهتها صحف ومجلات أخرى في العالم العربي، اضطرتها الى احتجاب لا رجعة بعده.

لقد كانت «المنهل» لدى عبدالقدوس الانصاري رسالة كبرى، منحها، دون تحفظ، فكره ووقته وماله، وحرك بها الحياة الثقافية من حوله، وأعد ابنه من بعده ليكمل الشوط الطويل الذي بدأه. ومن ثم فان موت الانصاري، يرحمه الله، لم يكن يعني سقوط «المنهل»، بل ظلت — بعد رحيله — ماضية في مسيرتها، تحمل نبض فكره واصراره الى يومنا هذا. وقد أدت «المنهل» دورا كبيرا في رعاية المواهب الأدبية بين الناشئة السعوديين، الذين صاروا بعد ذلك، وبفضل رعاية الانصاري، في صفوف الكبار من قادة الحركة الأدبية. وسوف نقتصر هنا على مثال واحد يغني عن الأمثلة الكثيرة، وهو رعاية الانصاري للأديب حسين عرب. يقول حسين عرب: «منذ كنت طالبا في المعهد العلمي، وربما كان ذلك في حدود ١٣٥٣هـ أو قبله بعام على الأكثر، بدأت علاقتي بالأستاذ الكبير،

علاقة بين طالب يتعشق الأدب، ويحاول أن يجد له متسعا بين صفحات الجرائد والمجلات في بلده، وهي قلة آنذاك، وبين أستاذ كبير وأديب لغوي عالم باحث مؤرخ فقيه، الى غير ذلك من الصفات... ولكن صاحب المنهل، يرحمه الله، قلب المعادلة وأثبت أن العلاقة بين شاب ناشيء طالب وأستاذ كبير صاحب مجلة وصاحب مكانة علمية وأدبية يمكن أن تبدأ أو تستمر وان تثمر. وكان فضل ذلك راجعا اليه وحده، بما آتاه الله من سعة الصدر وأدب العلم وسماحة النفس وكرم الخلق».

كذلك كان من دأب صاحب «المنهل» — بين الحين والحين — أن يطرح على قرائه سؤالا في موضوع معين، ويطالبهم بالجواب، ثم ينشر اجابات قرائه، على نحو يحفز الهمم ويثير المنافسة، ويفتح العقول والقرائح على آفاق رحبة من الفكر المستنير. وكان الأنصاري، بصنيعه ذاك، استاذ جامعي قدير يقف أمام جمهور عريض من طلابه، يسائلهم، ويتلقى اجاباتهم، ويثير فيهم الشغف بالمعرفة ويشجعهم على الجدل والمصاولة. وقد كان هو نفسه، يرحمه الله، من أهل المناظرة والمصاولة، يعينه على ذلك علم غزير وقريحة وقّادة، وثقة بالنفس، وشغف بالحقيقة نادر النظير.

وقد شهدت «المنهل» على مدى نصف القرن، نتاج الكبار من الأدباء السعوديين، أمثال محمد سعيد العامودي، وأحمد رضا حوحو، الأديب الجزائري الأصل، وابراهيم أمين فوده، وصالح شطا، ومحمد حسن عواد، وعبد الوهاب آشي، وابراهيم هاشم فلالي، وحمزة شحاته، وفؤاد شاكر، وعثمان حافظ، وأحمد عبيد المدني، ومحمد عمر توفيق، وسواهم كثير.

وقد تحولت بعض هذه المقالات، فيما بعد، الى كتب لها مكانتها ودورها في الحركة الأدبية، ومن ذلك، على سبيل المثال، كتاب «المرصاد في النقد» للراحل ابراهيم هاشم فلالي، وكان في الأصل مقالات منجمة مفرقة على صفحات «المنهل».

وللمنهل دور كبير في تنشيط حركة الكتابة القصصية ونشير هنا الى أن الشيخ عبدالقدوس، كان يقصد قصدا الى ترويج الفن القصصي والنهوض به بين كتابه السعوديين، ايمانا منه بالدور الاصلاحي الذي كان ينشده لمجتمعه وبلده، وحرصا منه على أن يبلغ بهذا الفن في الأدب السعودي ما بلغه في الآداب العربية الأخرى. ثم لا ننسى أن الانصاري كان صاحب أول رواية في الأدب السعودي الحديث.

من هنا فقد افسح المجال امام نشر النتاج القصصي، وأصدر عددا خاصا من أعداد المنهل (رجب ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) عن القصة القصيرة ضمنه ثلاثين قصة. كما أن ما نشر من هذا الفن بمجلة «المنهل» قد بلغ ١٢٥ قصة، وذلك في الفترة من عام ١٩٣٧م حتى عام ١٩٦٠م.

وكما أولى الانصاري فن الاقصوصة الاهتمام، فكذلك كان صنيعه بفن آخر مستحدث، وهو فن المسرحية ضمانا لتنوع المادة المنشورة، وحتى تواكب المجلة تيار الحداثة، دون ابتعاد عن تيار الاصالة، وتسهم بدور فعال في تطوير الحركة الأدبية في المملكة.

ثمة فن أدبي آخر عملت «المنهل» على نشره وتنشيطه وهو «أدب الحوار». يقول الانصاري في عدد جمادى الأولى من عام ١٣٦٧هـ.

«تدرجنا بالحياة الأدبية في هذه البلاد، حيث نقلناها من طور أدب المقال الذي بدأ الملل يتسرب منه للقراء الى أدب الحوار الممتع الواسع الآفاق».

لقد كان عبدالقدوس الانصاري ذلك الأديب الثائر في غير عنف، المجدد في غير تجاوز. كانت عين منه على الماضي، لئلا تضيع خطاه على الطريق، وعين على الحاضر، حتى يتواكب فكر بلاده مع تيار الحياة الدافق من حوله.

الأنصاري باحثاً أديباً

سبق القول بأن عبدالقدوس الانصاري قد درس الأدب — مع غيره من الفنون والعلوم — على شيخه محمد الطيب الانصاري. كما سبق القول بأنه كان يقوم بتدريس الأدب في مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة. ومع أن المصادر لا تكاد تفصح عن كتب الأدب التي طالعها الشيخ عبدالقدوس الانصاري، فان بوسعنا أن نستنبط ما تدل عليه القرائن، اذ من المؤكد أنه قد طالع على شيخه أمهات من كتب الأدب لكل من الجاحظ والمبرد وابن قتيبه وبديع الزمان الهمذاني وأبي الفرج الاصفهاني، هذا الى جانب مطالعاته للمحدثين من الأدباء، كالمنفلوطي، وطه حسين، ومحمد حسين هيكل، وأحمد أمين، وعباس العقاد، وجبران خليل جبران. نعم، فقد كان ذلك زاد جيل الرواد من رفاق الشيخ، كالسباعي، وحسين سرحان، ومحمد سعيد العامودي، فمن البديهي أن يتزود الأنصاري من الزاد الذي أقبل عليه ذلك الجيل شغوفا حفياً.

وقد عرفنا للانصاري مقالات ومحاضرات في البحث الأدبي كما عرفنا له كتبا ترسم لنا معالم البحث الأدبي لديه. نختار من بينها كتابه «مع ابن جبير في رحلته» الذي عرض فيه لرحلة الرحالة الكبير، وتناولها بالتحليل الدقيق الذي يستنبط اللمحات بذكاء، ويثير القضايا بعمق. ومن ذلك — مثلا — عرضه لوصف ابن جبير لأطراف من الحياة في مكة على عصره، وما كانت عليه أم القرى من رخاء اقتصادي، وانتشار لصناعة الحلوى، ولحوم الضأن والفواكه والرطب، ووصفه لموكب حج شقيق صلاح الدين الأيوبي، الى غير ذلك من المشاهد. أما ملاحظات الشيخ الانصاري ودراساته، فهي غزيرة اذ نجد، في ثنايا بحثه، دراسة مستفيضة لجماعة «البجاة» وهم سكان «عيذاب» على البحر الأحمر، وما كانوا يستخدمونه من أنواع السفن التي اطلقوا عليها اسم «الجلبة» و«الجلاب».

وكذلك كان الأنصاري يمارس في ثنايا دراسته شغفه المعهود عنه بتحقيق الأمكنة، التي ورد ذكرها في رحلة ابن جبير، فيوازن بين «مرسى ابحر»، كما شاهده ابن جبير في رحلته، وبينه في العصر الحديث، وينتهي الى نتيجة خلاصتها، انه لا فرق، ثم، بين ما شاهده الرحالة الاندلسي، وبين الواقع المشاهد في العصر الحديث.

كما تبدو — لدى الانصاري — نزعته التحقيقية الواضحة، في تحقيقه لنسبة الكتاب، «أي كتاب الرحلة» الى ابن جبير، واثبات ان ابن جبير هو الذي كتب الرحلة بنفسه وبأسلوبه، ولم يعهد الى سواه بتحرير الكتاب، مكتفيا بوضع الأفكار، كما فعل الرحالة العربي الشهير، «ابن بطوطة». هذا الى ما زخر به الكتاب من بحوث لغوية وتاريخية وأثرية، كبحثه الطريف الشائق عن «الفنادق» في اللغة كما اوردت المعاجم العربية لفظها، وعن الفنادق في التاريخ الاسلامي. وهو بحث مطول مستفيض. وآخر ما نشير اليه هو اهتمام لباحث في مواضع شتى من دراسته، بعقد الموازنات بين رحلة ابن جبير، وبين غيرها من الرحلات من الأدب العربي.

واذا كانت بعض بحوث الانصاري، في ثنايا هذه الدراسة، تطول وتستفيض الى حد الاستطراد، فانها تعكس غزارة المعرفة لدى الباحث، وعنايته بعنصر الاضافة، التي تمنح نص رحلة ابن جبير قيمة خاصة.

عالم الآثار

عني الشيخ عبدالقدوس الأنصاري، يرحمه الله، عناية كبيرة بعلم الآثار، وهو، في هذا المجال، من الرواد، خاصة لو أخذنا في الاعتبار قلة

عدد علماء الآثار العرب، وكثرة نظائرهم من الأوربيين، الذين رادوا هذا المجال الحضاري الهام، كجزء من الحركة الاستشراقية في العالم العربي.

ولكن ثمة سؤالا هاما، وهو: لماذا أحب الأنصاري الآثار وشغف بها؟ وهو سؤال وجه الى الانصاري، فأجاب عنه بقوله:

«ان البحث عن الآثار هو البحث عن الذات. لقد رأيت الغربيين يبحثون عن آثارنا، وهم عنها غرباء لا صلة لهم بها. فما هو هدفهم من ذلك؟.. انه محاولة معرفتنا ومحاربتنا بتفسيراتهم المعوجة لهذه الآثار.. لقد زار المدينة عبدالله فلبي، وكنت وقتها شابا متطلعا طموحا، فجاء للسلام على أمير المدينة، وكنت وقتها أعمل في دار الامارة، فطلب من الأمير أن يرسل معه من يطلعه على آثار المدينة، فاختارني الأمير لأصحبه. وخرجت معه اطلعه على معرفة أماكن اليهود واين كانوا يقيمون.. فتألمت لذلك وعزمت على تأليف كتاب عن آثار المدينة..»

لم تكن الآثار، اذن، لدى الانصاري مجرد هواية، وإنما كان وراءها شعور عميق بالاصالة والانتماء، وغيرة اسلامية محمودة لاستنقاذ حقل حضاري تاريخي هام من براثن الأهواء الاستشراقية المغرضة المشبوهة. كان العمل الأثري عند الأنصاري مبدأ ورسالة، كشأنه فيما سوى ذلك من الأنشطة التي وقف عليها حياته وجهده.

ثمة سبب آخر وراء عناية الانصاري بالآثار، نلتمسه في مقدمة كتابه «بين التاريخ والآثار» يقول يرحمه الله: «كنت حين بدأت هواية الآثار تداعب مخيلتي في أول عهد الشباب، قد شممت من أريجها أن لا فائدة تذكر في دعم مرويات التاريخ النظري المكتوب دفعة واحدة. ولعل ذلك يعود الى أنه كان يراها تافهة بالنسبة لوقته، أو لأنها لم تدخل في اطار ما ألم به من الحوادث. كما فطنت لحقيقة علمية كبيرة، ساقتني الى مزيد من الحرص على تتبع ما أمكن تتبعه من الآثار واستنطاقها عن ماضي الأخبار. والحقيقة الماثلة للعيان هي أنه اذا اتفق التاريخ الخبري والشاهد الأثري على حدوث أمر ما، فان ذلك يكون حقيقة مؤكدة لا شبهة فيها ولا التواء».

لقد كان الشغف بالتاريخ سببا هاما وراء الاهتمام بالآثار لدى عبدالقدوس الانصاري، غير أن التاريخ النظري المدون، ما كان ليروي لديه غلة، وهو العالم النزاع الى التثبت والتحقيق، فليكن علم الآثار.. إذن، هو التاريخ الماثل الحي، مساندا في قرائنه ودلائله للتاريخ النظري المدون.

آثار المدينة المنورة

وقد ألف الانصاري فيها كتابا قيماً، حتى غدا مصدرا مهما لكل من كان له صلة بحث في آثار المدينة، ومنهم الراحل الدكتور محمد حسين هيكل صاحب كتاب «في منزل الوحي».

ويقسم المؤلف كتابه ذلك الى عشرة أقسام، يضم كل قسم منه، نمطا من الأنماط الأثرية في «طيبة» الطيبة، وهذه الأنماط هي: الدور — القصور — الحصون — المساجد — البلاطات — الأمكنة — الجبال والحرار — الأودية — الآبار — العيون.

وهو في منهجه العام، يهتم بالتحديد الدقيق لموقع الاثر، وعناصره، وما أزيل منه وما بقي، وما حل محله، ومساحة الأثر، وحاله من حيث الوقف او التملك على مر العصور، وقد يزود القارىء بصور فوتوغرافية لما بقي منه، ويقوم بهذا العمل الفني بنفسه، غير مستعين بالمصورين.

وهو يساند المعاينة والمشاهدة بما ورد في مصادر التاريخ المدون، متحريا في ذلك أدق ما يكون التحري، لا يدع آثاره قليلة من شبهة الا اعتد بها وتعقبها، حتى يثبتها أو ينفيها أيا كانت دلائل الثبوت والصحة، شأنه في ذلك شأن الاثبات من أهل التحقيق. ثم لا يكتفي بالمعاينة والمشاهدة، مدعومة بالمعلومات التاريخية، وإنما كان يراجع احيانا السكان المجاورين للأثر، ويسائلهم، كما فعل عند دراسته لحصن «كعب بن الأشرف».

ومع أن الأنصاري قد ألف كتابه «آثار المدينة المنورة»، وهو في باكورة الشباب، فقد أوتي حصافة الشيوخ ورويتهم المدققة. وقد انتفع الدكتور محمد حسين هيكل بآراء الأنصاري — ليس في كتابه المتقدم فقط — وانما بلقائه للانصاري شخصيا ومساءلته ومناقشته في بعض مسائل التاريخ والآثار، وكان هيكل — آنذاك يعد العدة لكتابه الشهير «في منزل الوحي» ويجول في هذه المنازل، بصحبة الأنصاري في بعض تلك الجولات.

ويبقى لكتاب «آثار المدينة المنورة» قيمته الهامة لدى كل الباحثين، من علماء الآثار والسيرة النبوية والتاريخ، فهو مصدر يعتد به لدى هؤلاء جميعا بما يرسمه من الصور الحية الدقيقة، وما يعتمده من المصادر: مشاهدة، وكتبا، ومشافهة.

الأنصاري خارج المملكة

كان الانصاري، شأن أقرانه الرواد، موصول الوشائج بأدباء من خارج المملكة، عن طريق مطالعاته للأدباء الذين تجاوزوا حدود الانتماء الاقليمي، ليصبح تراثهم تراث كل العرب. ومن هؤلاء، كما أسلفنا القول، مصطفى لطفي المنفلوطي الذي كان الانصاري شديد الاعجاب بأدبه، وبخاصة «النظرات والعبرات»، كما كان شديد الاعجاب بطه حسين، وعباس العقاد، وبالشاعرين الكبيرين: حافظ وشوقي. وبالكاتب أحمد حسن الزيات صاحب «الرسالة». وكان الأنصاري على وشيجة مودة به كما كان الزيات معجبا بالانصاري وبقدراته، يفسح له معه صفحات «الرسالة» لنشر مراجعاته وبحوثه الجادة. بما في ذلك مناظراته للراحل عباس محمود العقاد. كما كان الانصاري أيضا على علاقة حميمة بالكاتب الاسلامي الراحل أحمد عطية الله، يزوره ويحضر ندوته التي كان ينظمها في بيته بضاحية المعادي جنوبي القاهرة، ويغشاها جمهور من المثقفين والمتخصصين.

وقد أسلفنا القول عن الصلة العلمية بين الأنصاري وهيكل، ونضيف، هنا، الى أن هذه الصلة ظلت وطيدة متصلة العرى «تجري بينهما المراسلات، ويحرص الدكتور هيكل على لقاء صاحبه حين يزور القاهرة مهما كثرت شواغله الوزارية والبرلمانية»، حتى أنه، يرحمه الله، «أصر على دعوته مع الاستاذ العامودي الى مشاهدة مجلس الشيوخ المصري أثناء انعقاده باحدى الجلسات التي يرأسها الدكتور هيكل.. وحين توفي هيكل رثاه الأنصاري، والعامودي أبلغ رثاء».

كذلك كان الانصاري —رحمه الله— على علاقة بآخرين عن طريق كتابه القيم «آثار المدينة المنورة»، فالعلامة محمد فؤاد عبدالباقي، يرحمه الله، يثني على هذا الكتاب جليل الثناء. وذلك في مقال له بمجلة الأزهر تحت عنوان «جبل ثور بالمدينة»، ويقول في المقال المتقدم: «وقد أرشدني الدكتور هيكل الى كتاب، آثار المدينة المنورة، لمؤلفه الاستاذ عبدالقدوس الأنصاري الذي اتصل به منذ نزل المدينة، وقد ذكر له فضله وشكره أجمل الشكر على ارشاده ومعاونته»، ثم نقل عنه العلامة عبدالباقي فقرة من الكتاب وعقب عليها تعقيبا يفيض بالثناء.

كذلك أشاد الراحل محمد فريد وجدي بالاستاذ عبدالقدوس الأنصاري، وأثنى على مؤلفه «آثار المدينة المنورة». ناهيك بعلاقاته الوطيدة بالجلة من أدباء العالم العربي وعلمائه. وكان الكل يقدر له مكانته ويبادله الود □

الميكروبات.. فوائدها وأضرارها

بقلم: د. محمد نبهان سويلم/القاهرة

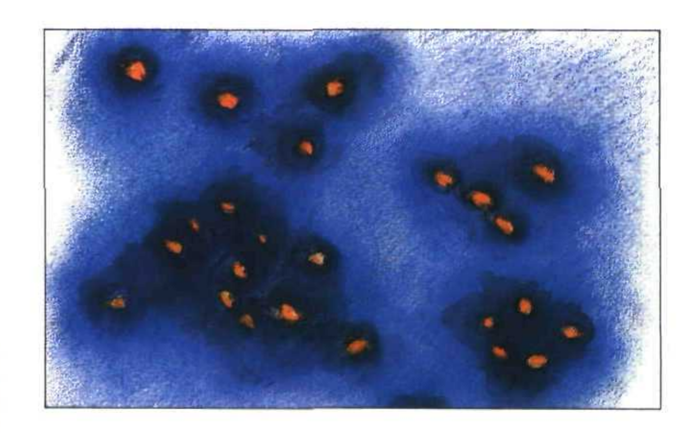
كلمة ميكروب كلمة منفِّرة تستاء النفس عند سماعها، وتقشعر الأبدان لذكرها، فقد ارتبطت هذه الكلمة في عقولنا بالمرض والأذى والقذارة، وأخذت الأجيال المتعاقبة تتناقل هذه المشاعر تجاه الميكروبات. لكننا في الحقيقة نظلم الميكروبات ظلما فادحا، فجميع الميكروبات ليست ضارة، بل على العكس من ذلك، اذ انه الى جانب القليل الضار منها، هناك أيضا الكثير النافع الذي لا يمكن للحياة ان تستقيم بدونه. فقد أوكل الله، سبحانه وتعالى، الى الميكروبات دورا اساسيا في الحياة ألا وهو إتمام دورات العناصر في الكون، ولا تكاد تمر ساعة من نهار أو ليل لا تتدخل فيها الميكروبات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في حياتنا، فهناك ميكروبات ضارة تتطفل على الانسان والحيوان والنبات وتتسبب في مرضه. وهناك ميكروبات تحط على المواد الغذائية لتصبح عديمة القيمة والجدوى.

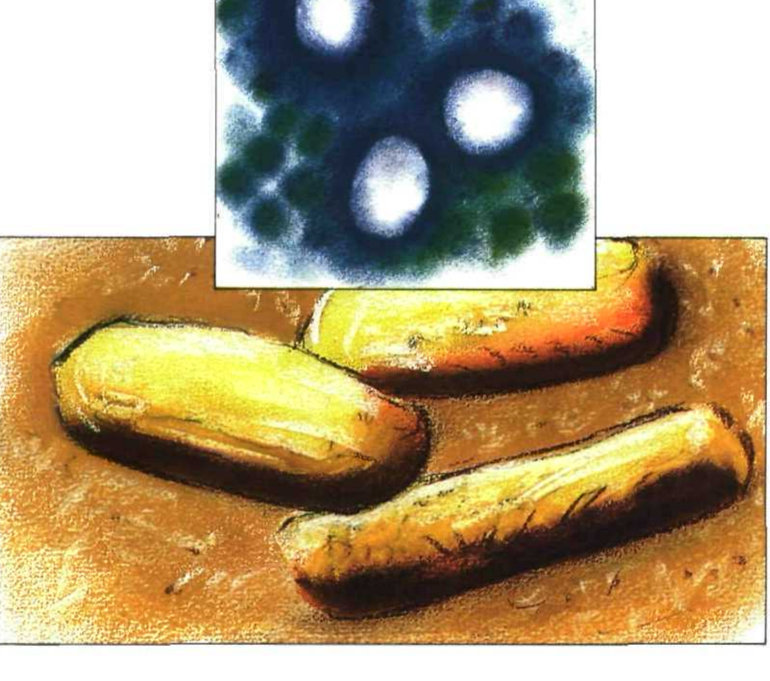
والميكروبات موجودة على سطح الأرض منذ نشأة الحياة. في الليالي المظلمة قد تخرج من البرك والمستنقعات حلقات من النيران تظهر أول ما تظهر على سطح المستنقع، ثم تضيء، وقد ترتفع الى أعلى في الهواء محدثة بذلك الهلع والرعب في قلوب العامة. وقد تنسب هذه النيران الى شياطين أو جن الى آخره، الا أنه من المؤكد من الجانب العلمي أن الميكروبات تعيش في طين البرك. فبين حين وآخر تتساقط بقايا نباتية تدفن شيئا فشيئا في الطين وتبدأ في التحلل عند انعدام الهواء، فتنتج غاز البرك أو غاز الميثان، وتتجمع الفقاقيع شيئا فشيئا. وعندما يزداد ضغطها تنطلق الى السطح وتحترق في الهواء على شكل حلقات.

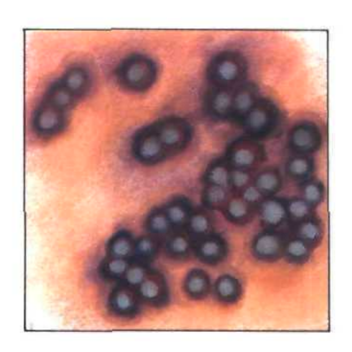
ويرجع اكتشاف الميكروبات الى رجل يدعى «ليفهنوك» عاش في هولندا، واحترف صناعة العدسات وصقل الزجاج، وظل لسنوات يفحص الأقمشة وأرجل الحشرات. وذات يوم كان يفحص عينات من مياه المطر وكانت مفاجأة غريبة لم تكن في الحسبان إذ وجد القطرة من مياه الأمطار تزخر بكائنات تتحرك كالأشباح وتتوقف فجأة عن الحركة ثم تهمد ثم تعاود الدوران حول نفسها، ولم يخف حقيقة ما اكتشف، وعرضه على الجمعية الملكية للعلوم وقتذاك، ولكن بحثه هذا أهمل حتى اعاد «لويس باستير» كشف هذا العالم الغريب والمثير من دقائق الكائنات.

والميكروبات، مثل أي كائن حي، يأكل ويهضم الطعام، ويتنفس، وينمو ويتكاثر، ويجري ويمرح، ويهمد وتسكن فيه الحركة. وهي أول الكائنات الحية التي ظهرت على سطح الأرض منذ ملايين السنين، ورغم ضعفها ووهنها، الا أنها كانت الكائنات الوحيدة التي استطاعت التأقلم مع التغيرات البيئية على سطح الأرض. في حين هلكت كائنات وحيوانات هائلة لم تتأقلم مع الحياة.

والميكروبات، تستطيع العيش وسط ماء في درجة الغليان، والنوم دون حركة لمئات السنين. ويمكنها أيضا العيش على درجة حرارة تصل الى تحت الصفر. وتتحمل ضغطا يفوق معدل الضغط الجوي بألفي مرة، أي بواقع طنين على السنتيمتر المربع. وهذه الميكروبات كائنات دقيقة جدا بحيث يتعذر على أي ميزان حساس في العالم وزن ميكروب واحد منها نظرا الى أن وزنه لا يتعدى ٠٫٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٢ جرام، أي ان جراما واحدا يحتوي على خمسة آلاف مليون ميكروب. والميكروب الواحد ينقسم الى ١٩١ ٦٦٧ ٢٠٠ ٠٠٠ ميكروب بعد مضي أربع وعشرين ساعة، وهو رقم مذهل يكفي أن يترجمه العقل الى دلالة ولا ينطق به اللسان ويعبر عنه بالكلمات. فليس هناك كلمات تفسر العدد، ولو سارت أمور انقسامها على هذا النحو لأتت الميكروبات على الأخضر واليابس. لذلك وضع الحق، تبارك وتعالى، قيودا صارمة







ومناشير طبيعية تجتث هذه الميكروبات من على ظهر الأرض، فهي تموت بنفس سرعة تكاثرها. وحتى وان عاشت في وسط غذائي فانها تتكاثر بشكل مذهل. واذا ما قل غذاؤها زادت افرازاتها السامة وانتحرت الافراد الميكروبية بمحض ارادتها.

والبكتريا تختلف عن الكائنات الحية في نمط الحياة الذي تعيشه أنواع منها دون الحاجة للهواء الجوي. شأنها في ذلك، شأن الانسان والحيوان والنبات، الى جانب وجود أنواع أخرى تعيش في الهواء.

وقد نشرت مجلة «العلم» الامريكية في عددها الصادر في اغسطس ١٩٨٢ مقالا للدكتورة «كورال بيريرلي — Corale L. Brierly» ألقت فيه الضوء على ميكروبات تلتهم الصخور وتهضم الحجر ولا تتطفل أو تتسول على كائن آخر. وكانت أيضا سببا في تكوين مناجم النحاس الهائلة في القارة الامريكية. وقد تعرضت الكاتبة الى نوع من البكتريا يتغذى على مركبات الكبريت أو الحديد أو النيتروجين «الأزوت».

والميكروبات اليوم جديرة باهتمام المشتغلين بالتقنية في البلاد المتقدمة والنامية، فهم قادرون على درء الأخطار الناجمة عن نقص المواد الخام في قطاعي البيئة والطاقة مثل انتاج الغاز الحيوي، وسد نقص البروتين الحيواني، وتحسين خصوبة الاراضي الزراعية، وصناعة الألياف والسماد، ويبدو أنها تعيد نفس ما قامت به في سالف الأزمان. في صحراء تشيلي المجاورة للمحيط الهادي جاءت أسراب ضخمة من طيور بحرية بنت أعشاشها بمحاذاة الشاطىء وتخلصت من برازها على سواحل المحيط، ثم ماتت حيث هي. ونتيجة لذلك، وبمرور الزمن تجمعت نفايات هائلة، ساعد على تجمعها ندرة الأمطار، فعاشت عليها ميكروبات حللتها الى أملاح النشادر ثم الى املاح النترات، وأصبحت تشيلي بذلك تملك أضخم مناجم للسماد في العالم.

وقد اتجهت اليابان الى استعادة الميكروبات لدورها في التقنية الحديثة بحثا عن موارد جديدة يمكن استخلاصها من خامات فقيرة نسبيا، أو إهمالها وغض الطرف عنها. وقد استخدمت هذه الميكروبات بنجاح في استعادة عدد من المعادن كالزنك، والخارصين، واليورانيوم، والانتيمون، والرصاص، والنيكل، والنحاس، والفضة.

ومن الصناعات التي تكون الميكروبات اساسية فيها هي، صناعة الخل، حمض الخليك، وحمض الأستيك، وصناعة أنواع من اللدائن والأصباغ عالية النوعية، كما تسهم الميكروبات في صنع المخللات وذلك بفضل ميكروب يدعى «لاكتوباسيلاس — Lacto Bascillus» فإذا وضع الخيار أو الفلفل الأخضر أو البنجر مع ملح وماء في إناء فخاري أو زجاجي، اندست بضعة آلاف من الميكروبات لتتغذى على العصير النباتي الذي يخرجه الملح في الماء لتكسبه نكهة لذيذة.

ومن الصناعات التي تدخل الميكروبات في صنعها، اللبن الزبادي وغيره كثير. أما عن أخطار الميكروبات ومضارها، فتشير الدراسات العلمية بهذا الصدد الى أن الولايات المتحدة الامريكية قد فقدت في احدى السنوات نحو ٧٥٪ من محصول قطنها، وما يقرب من ١ ٢٠٠ ٠٠٠ طن من البطاطس. ويقدر العلماء بأن الميكروبات تتسبب في فقدان نسبة تتراوح بين ١٠ و٢٥ في المائة من مصادر الغذاء في العالم.

إن الميكروب بفضل طاقته التي لا تحد، وقدراته الهائلة في مجالات الزراعة والطاقة والبيئة والصناعة والطب والهندسة والبحوث البيولوجية، يشكل عاملا مهما في الاكتشافات العلمية الجديدة. ولعل البلدان النامية بوجه خاص في حاجة ملحة الى اختيار قوة الميكروب وقدراته لسد فجوة التقدم الحضاري. «**وما أوتيتم من العلم الا قليلا**» □



أشجان

شعر: محمد أمين أبوبكر / الدمام

أنا الظمآن أذرف دمعة الولهان للسَّمر
وكم اهواك كم أهواك يا ترتيلة السَّحَر؟
أتوق اليوم للاغصان تحضننا على النهر
إلى أنشودة الشلال ملء مسامع القمر
تشق الليل والظلماء ترسم أجمل الصور
وتنثر في ذرى الآكام أفواجا من الزهر
أنا أهواك يا وطني ينابيعا من الدرر
أنا الظمآن أذرف دمعة الولهان للسمر
أناجي منبع الإلهام في إلياذة السهر
وكم أهواك كم أهواك يا ترتيلة السَّحَر؟
وأحيا في شعاع الوصل ارقب رحمة القدر
فيرميني لهيب البعد في دوامة السفر
وتسحقني رحى الهجران في طاحونة البشر
أتوق لقصة الأطيار زانت روضة الشجر
وأحلى أغنيات الحب في إشراقة العمر
بها ارتجزوا مع الأسحار منذ بشاشة الصغر
الى مياسة النظرات ترسل لفتة الخفر
وقد ارخت عقود التبر حول زمرد النحر
كحبات تضيء ربوعها إطلالة القمر
فطابت في سنا لألائه باكورة الثمر
الى «العين» التي في طرفها اقصوصة الحور
لترمقنا وترشقنا بفيض نميرها العطر



الإمام محمد بن سعود

(ـــ ١١٧٩هـ)

بقلم: د. محمد بن سعد الشويعر/ الرياض



المواقف القيادية هي التي تبرز مكانة الرجال، وتحدد شخصياتهم، والرجال كثيرون لكن الذين تتوفر فيهم صفات معينة تخولهم للقيادة، وتجعلهم يبذُّون اقرانهم، ويتفوقون على غيرهم قليلون.

وهؤلاء القلة هم القدوة في القول، والنموذج في العمل، بما لديهم من رجاحة العقل، وحسن التصرف في المواقف المهمة.. فهم الذين تتحدد على أيديهم مصائر أممهم. والجزيرة العربية برز فيها رجال هم موطن القيادة، ومقدمة الجيوش طوال العمر الزمني لتأريخ الفتوحات الاسلامية. وهم من الكثرة بحيث ملأوا سمع التاريخ وبصره طوال تسعة قرون أو تزيد. الا أن الفترة الزمنية التي سنحاول العبور معها، واستقراء بعض رجالاتها، واستعراض نماذج قليلة من مواقفهم القيادية، ومكانتهم في مجتمعهم، وتكوين امتهم.. هي فترة يقظة في تاريخ وسط الجزيرة، حركة اصلاحية دينية قام بها الإمامان: محمد بن سعود (... ـــ ١١٧٩هـ)، ومحمد بن عبدالوهاب (١١١٥ ـــ ١٢٠٦ هـ) رحمها الله، لانقاذ الناس من الجهالة وانتشالهم من الخرافات العقائدية.

ويعتبر عام ١١٥٧هـ بداية جديدة في ذلك التأريخ، عندما تصافحت يدا هذين الإمامين وتعاهدا على العمل سويا من أجل إعلاء كلمة الله، ونصر عقيدة التوحيد. ومن ذلك برز الامام محمد بن سعود كقائد، ومنظم للغزوات.. وانه من غير الملائم استعراض حياة بعض القادة في الجيوش التي وصل الينا علمها، واخبار قادتها، مع قلة ما كتب في تأريخ هذه الحقبة.. لأنها مع قلتها لاتستقي الامن مصدر واحد هو ابن غنام (... ـــ ١٢٢٥هـ)، الذي عاصر هذه الاحداث وكتب عنها من واقع مشاهداته معلومات مختصرة، ومقتضبة الأسلوب، ثم خلفه ابن بشر (١٢١٠ ـــ ١٢٩٠هـ) الذي عاصر الفترة الثانية، بحيث يعتبر ما وصل الينا، وما كتب عن تلك الفترة عالة عليهما، رغم أن اللاحق قد استفاد من السابق، الا في نتف جاء بها مؤرخون ليسوا من العائشين مع الأحداث ولم يكونوا فيها على قاب قوسين أو أدنى كما حصل لهذين المؤرخين.

نقول انه من غير الملائم المرور بأولئك القادة دون أن نجعل في المقدمة حديثا عن أئمة هذه الفترة الأولى من الدولة السعودية.. وهم أربعة، كان لكل منهم دور قيادي مهم، بل يصح أن نعتبرهم قادة للجيوش الأولى التي بدأت المسيرة بدعوة الأقربين فالاقربين، ثم الأبعدين للاستجابة لحقيقة هذه الدعوة الاصلاحية. مارسوا القيادة عملا وتوجيها، وبانت جهودهم وأعمالهم فيها.

إن الإمام محمد بن سعود، ثم ابنه عبدالعزيز بن محمد، ثم سعود بن عبدالعزيز، ثم عبدالله بن سعود. كل واحد من هؤلاء الأربعة كان يجهز الجيوش بنفسه، ويقف على مقدرتها، ثم يسيِّرها ويقود بعضها بنفسه، في حملات يتسع مداها وبُعدها حسب الوقت والزمن اللذين هُيئا لها.. والفئة التي تقف دونهم



مسترشدين في مسيرتهم بالمنهج الاسلامي الأول، قدوة في الدعوة، واقتفاء في العمل، وموجهين قادتهم للأماكن البعيدة، بعد أن اتسعت الدائرة، وازداد المستجيبون للدعوة، والداخلون تحت لوائها. وحديثنا هذا اليوم، وبعد هذه المقدمة، عن أول هؤلاء الأئمة، والذي كان له فضل الاستجابة والعمل مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انه الامام محمد بن سعود. وعلى الرغم من أن الحديث عنه وعن رجال الدولة السعودية الأولى قد كثر، فان ما نذكره هنا، قد يكون من تكرار القول.. الا أن الحقيقة لا بد أن تتصل وهم بدايتها، ومحكمو ابرامها.

فالامام محمد بن سعود الذي لم يتضح لنا شيء عن مولده، ولا عن حياته التفصيلية قبل الاتفاق والتعاهد مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب في عام ١١٥٧هـ، الا اننا نعتبر حياته مع الدعوة، ومع الرصد التأريخي الذي بدأ من هذا التأريخ، اشعاعا سلط على سيرته، ونبراسا وضح جوانب من حياته، ورصدا تأريخيا سجل ما برز من هذه الحياة.

كان الامام محمد سليل امارة في حدود منطقته، فقد تولى امارة الدرعية بعد وفاة والده الأمير سعود بن محمد بن مقرن عام ١١٣٧هـ، وتوارث آباؤه وأجداده الامارة منذ انتقلت الأسرة الى الدرعية في عام ٨٥٠هـ. واستوطنت وادي حنيفة. ويعتبر الامام محمد، هو أول من تقلد لقب الامام من آل سعود.. وأول من حول الامارة الصغيرة الى دولة متسعة الأرجاء. كان رجلا شجاعا مقداما، وعلى الرغم من أن حروب الدرعية لم تشتعل الا ومحمد هذا قد خطت قدماه نحو الكبر — فيما يبدو —، وليس طموح الشباب ومقدرته وجلده كالحال عند التقدم في السن، لما بين الحالين من قدرة في المواقف، واقدام في المهمات، الا أن الإمام محمد كان من الرجال الذين لا يعرفون الكلل ولا يتسرب اليهم الملل، بل ان قوة ارادته، وبروزه كقائد تبدو في مواقف عديدة من سيرته المليئة بالأحداث والمهمات الصعبة، ومقارعة الرجال، والصبر على الشدائد.

فمحمد هذا من أول حياته التي وصل الينا علمها، كان رجلا قويا، وذا مهابة، وما صدر عنه من رأي كان هو المعول عليه.. فعلى الرغم من أن أخاه ثنيان بن سعود هو الأكبر سنا، فإن محمدا كان هو صاحب الرأي الأول، اذ تولى امارة الدرعية بعد أبيه، مع مشاركة أخيه ثنيان له في الرأي.

وعندما قدم الامام محمد بن عبدالوهاب الدرعية، ما زال اخواه ثنيان ومشاري يشيران عليه بمساعدة الامام ونصرته. حتى ادخل الله الى قلبه محبة الشيخ، ومحبة ما دعا اليه، ثم سار اليه وجرت الاتفاقية. كما ذكر ابن بشر في (عنوان المجد ص ١ : ٢٤).

ومن هنا نستطيع تقسيم مواقف الامام محمد بن سعود القيادية الى ثلاث نقاط، تتضح منها قدرته العسكرية، ونظرته الادارية، وتحمله في الشدائد.. ثم أسلوبه في بناء هذه الروح لدى أولاده وما يعدّهم من أجله.

ففي القدرة العسكرية.. ترى الروح العقائدية الدينية، التي ارتبط بها وجدانيا وقد حركت هذه القدرة لديه في مثل هذه المواقف:

— كانت أول حركة حربية تبدأ من الدرعية لنشر دعوة الاصلاح الجديدة بقيادة الامام محمد بن سعود نفسه، نتيجة غيرة دينية، بعدما بلغه أن دهام بن دواس نذر ذبح جزور لتاج وشمسان — لغير الله، ان قطع ابن سعود عليه الفوارة بعد أن فشل في محاربة أهل منفوحة، الذين دخلوا الاسلام، ووحدوا الله. وجرأة الامام محمد في هذه الغزوة جاءت في طريقة التخطيط لهذا الهجوم الذي درسه، ودرس ما يحيط به: فهجم ليلا على الرياض، واتجه بمن معه الى باب القلعة، التي يحتمي دهام في داخلها بقصره، فشذبوا الباب بالمنشار، ودخلوا ورموا دهاما بالرصاص وهو في عليته، ثم عاد الامام ومن معه سالمين.. كما ذكر هذا ابن غنام (راجع ص/٩١)، وابن بشر (راجع ص ٣٠—٣٢).

— كما كثرت المجابهة القتالية في حدود عام ١١٥٩هـ بين الدرعية بقيادة الامام محمد بن سعود، والرياض بتوجيه دهام بن دواس الذي ناوأ الدعوة، ووقف منها موقف العداء كوقعة الشياب، ووقعة العبيد.. وكانت الهزيمة لدهام رغم كثرة رجاله وشجاعته وذلك في نظري يعود لسببين:

* إن الامام محمد بن سعود يقاتل من أجل الله، ومن كان مع الله كان الله معه.

* ان الامام محمد يستعمل فكره تخطيطا وعملا.. فنراه يضع الكمين ويختار الزمان والمكان المناسبين «الاستراتيجية» ويتحين الفرص.

وهذان السببان هما من أبرز الأعمال القيادية في الاسلام، ومن مسببات النصر الذي يراه المحللون عسكريا، والمتتبعون دينيا.



وقد قاد الامام محمد معارك أخرى كان النصر والتوفيق حليفه فيها. ففي عام ١١٦٢ هـ قاد وقعة الجبونية قرب الرياض فهدم جدرانها. عندما باكرها في الصباح. وعادة هدم الجدران. أو ما يسمى «شعف السور» أي أخذ أعلاه. مما يدل على النصر. واذلال الخصم. ومقدرة الهجوم.

وفي عام ١١٦٣هـ. قاد وقعة البطحاء. عند باب المروة في الرياض. وفي كل الأمور كان إقدام الامام على مهاجمة خصمه في عقر داره، والنيل منه بنماذج شتى يعطي انطباعا عن جرأته أولا، وقدرته العسكرية ثانيا.. ذلك أن الهجوم يحتاج الى قدرة قتالية، وقوة في السلاح، أكثر مما يحتاجها المدافع.. ولذا فانه يعتبر في الاعراف العسكرية في العصر الحاضر. ان سلاح الهجوم غير سلاح الدفاع.. وان القوة الفردية في الجيش تختلف أيضا في الحالين.

وعن نظرته الادارية، كان لا يعتد برأيه الشخصي، ولا يحب أن يستأثر بالقيادة لوحده، وكان يحترم آراء الآخرين ويقدرها في كل حال، وفي الأمور الحربية بصفة خاصة. وقد ذكر ابن بشر عنه انه في عام ١١٧٦هـ، عندما هاجم دهام بن دوّاس الدرعية فان الامام محمد بن سعود استشار رؤساء المسلمين في الطريق الذي يخرجون اليهم منه ويفاجئهم معه، وعند تداول الآراء أخذ برأي ابنه عبدالعزيز (انظر عنوان المجد ص/٥٥)، فكان النصر حليفهم بتوفيق الله.

وهذه الحالة تختلف عما قبلها، فهو في هذا الموقف قد أصبح مدافعا لا مهاجما، وقد هوجم على حين غرة، فلا بد أن يقرن القدرة، بالرأي المطروح للتداول.. وهذه من سمات القائد الناجح أن يأخذ الرأي المفيد والمعين على التحكم في الموقف، وان يدرس الحالة التي فاجأته حتى لا يقع في المصيدة التي دبرها له خصمه.

يتواضع ويتنازل عن القيادة لمن دخل في الدعوة مجددا، مع أنه صاحب الأمر والقيادة لأنه لا يحب الاستئثار بها، وما ذلك الا انه آنس لمن دخل في الدعوة مجددا حبا للزعامة، ورغبة في البروز، كما حكى ابن بشر وابن غنام، عنه عندما عاهد هو والشيخ محمد: عثمان بن معمر، فجعلاه أميرا على الجيوش المنطلقة للدعوة، فتارة يتبعه محمد بن سعود بأهل الدرعية، وتارة ابنه عبدالعزيز بن محمد الذي تولى قيادة أهل الدرعية مكان والده.. وهما يأتمران بأمر القائد الجديد، وهذا من التواضع ونكران الذات. وتقول عبارة ابن بشر: «فعند ذلك جعلوه — الضمير يعود على عثمان بن معمر — رئيسا للغزوات والسرايا، وصار محمد ابن سعود منقادا. ولا يخالفه بل يتابعه ويوافقه في السفر والبلاد» (انظر ص/٣٤).

أما عن اسلوبه في اذكاء الروح القتالية، وتنمية بناء الشخصية في أولاده الذين يعدهم لمواقف عصيبة، ذلك أنه يدرك ان مقارعة الرجال والاحتكاك هي أهم عنصر في بعث المواهب في النفس، وتمكين القدرة في الاستعداد. فهذا كثير عنده. ولذا نلمس منه:

— انه ينمي في أولاده حبّ الكفاح والطموح والقيادة منذ حداثة اسنانهم، كما فعل مع ابنيه فيصل وسعود اللذين قتلا في حدود عام ١١٥٩هـ في بداية حروب الدعوة (انظر عنوان المجد لابن بشر ص/٣٢). وتنمية الشجاعة والجرأة عند الابناء خصلة لا تتأتى الا عندما يكون الأب متصفا بها ومرغبا فيها كما يقول الشاعر العربي:

وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

— ولم يفت في عضده وفاتهما، لأنه مقتنع بأن الموت حق، لا يقدمه الجهاد أو يؤخره التخاذل عنه. متأثرا في هذا بالمنهج الرباني الذي ساقه القرآن الكريم في هذا.. مع أن الأبناء لهم اعزاز في النفس، وأثرة في الفؤاد.

— ثم لما شب ابنه عبدالعزيز عن الطوق، نمّى فيه حب القتال تحت امرته هو، ثم تحت امرة عثمان بن معمر. ثم لما آنس فيه الكفاية والمقدرة أسند اليه القيادة فبرز كواحد من أعظم القادة، ثم عهد اليه بعهد الولاية من بعده قبل وفاته لأنه آنس فيه القدرة على تصريف الأمور.. من تصرفاته، وأعماله، وآرائه ومشورته..

وهذه فراسة طيبة أن يتوسمها الأب في ابنه، حتى يستطيع أن يطمئن عندما يضعه في مكان المواجهة، الى قدرته في تصريف الأمور، ومجابهة الصعاب. هذا جانب من حياة القائد الامام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى.. وواضع لبناتها الأولى بجهد اسلامي هو منطلق الدعوة.. حيث اتسعت بعد وفاته اضعافا مضاعفة.. وكانت وفاته في عام ١١٧٩هـ بالدرعية.. رحمه الله □

المكافأة من الوجهة التربوية

بقلم: الأستاذ عادل عمر الرفاعي / المدينة المنورة

المكافأة والعقوبة وسيلتان تربويتان مفيدتان إن أُحْسِن استخدامها. وقد يُظن ان سوء استخدام المكافأة أقل ضررا من سوء استخدام العقوبة.ومن هنا يأتي استغراب كثير من الآباء والأمهات اذا نُصِحوا بعدم الإفراط في إعطاء الطفل كل ما يطلب أو حتى الكثير مما لا يطلب. إن خطر سوء استعمال المكافأة لا يقل ضررا على نفسية الطفل وسلوكه مستقبلا من الاساءة في استخدام العقوبة.

التشجيع والمكافأة

التشجيع يكون بالكلام كعبارات التشجيع المعروفة «أحسنت» «ممتاز» «تصرف ذكي»، «موقفك فيه لباقة»، «لو كنت مكانك لتصرفت مثلك»، «لقد كنت شهما»، «ليت الجميع يفعلون مثلك» «انك شديد الانتباه» «فعلا انك أثبت أنك أهل للثقة»، وعبارات غيرها كثيرة. وقد يكون بالحركة مثل «الشد على اليد» «الربت على الكتف»، وقد تكون الحركة من جانب واحد كما يَحْصل اثناء المباريات الرياضية والتمثيليات المسرحية والمهرجانات الخطابية وما شاكلها. كل هذه الانواع من التشجيع يمكن أن تكون تربوية ومفيدة ومنشطة في آن، ويمكن كذلك أن تكون وسيلة عكسية تخفض مستوى الأداء. ومن المعلوم أن آثار التشجيع تمتد الى تصرفات وسلوكيات ومواقف قد تكون بعيدة عن الموقف الاصلي الذي حصلت فيه. حتى انه من الملاحظ أن نوع التشجيع الذي يستخدمه الأب في الأسرة أو المربي في المدرسة ينعكس على تربية الطفل كلها بل يحدد كثيرا من الملامح الأساسية في شخصيته.

والمكافأة قد تكون رمزية وقد تكون عينية. ومن الملاحظ أن أثرها يكون أكثر ايجابية من أثر التشجيع حيث أنها غالبا ما تبقى ماثلة أمام العين حاضرة في الذاكرة ، وهذا ما يفسر حرص الناس على الاحتفاظ بالمكافآت العينية في أمكنة بارزة ومرئية مثل «الكؤوس والميداليات».

والمكافأة وسيلة تربوية مفيدة وبناءة تثير المنافسة وتبعث الأمل وتجدد العطاء وتقوي العزيمة وتنشط الذاكرة فتتفتح النفس وينصقل الذهن ويصبح الفرد أكثر قدرة على العطاء، ويسود التنافس البريء بين الأفراد.. كل يقدم خيرة ما عنده، وكل يعطي أفضل ما لديه. فتنمو القدرات وتقوى المهارات، ويظهر الابداع، فترى المجتمع أشبه بخلية النحل التي لا تكل عن العطاء ولا تمل من البذل.

وقد تصبح المكافأة وسيلة هدم وانتكاس تعوِّد ضعف العطاء وقلة البذل والغرور وقد يكون هذا أخطر ما يمكن أن يصيب النفس الانسانية. لأن الغرور، داء عضال اذا سيطر على النفس الانسانية أماتها فتصبح خاوية لا خير فيها، وهو لا يهاجم النفس دفعة واحدة من خارجها وانما ينمو شيئا فشيئا من داخل النفس عندما يتوفر المناخ المناسب لنموه. والمغرور يكرر دائما الأخطاء التي سبق أن وقع فيها، فهو يتعثر في مكانه ولا يتقدم في سلوكه بل هو في تراجع دائم. وقد أكد بعض علماء الاجتماع بأن ٩ من ١٠ من سلوك الفرد اليومي يرجع الى التقليد بشكل مباشر أو غير مباشر، فكيف يكون حال النفس المغرورة اذا كانت ترفض دائما التعلم من الآخرين ؟ والنفس المغرورة تنظر الى الآخرين على أنهم دونها ويكون تعاملها معهم من هذا المنطلق. لذا قلما تجد صديقا حميما لأن أمرها يفتضح وسرها ينكشف أمام أول هزة. وغالبا ما يلجأ صاحب النفس المغرورة الى مبدأ التعويض، فقد يمارس هواية تافهة أو غريبة وبشكل جنوني وغير معقول ويحاول التقرب دائما من الغرباء لاقامة صلات مع الأشخاص الجدد، على أمل ألا ينكشف أمره. وأحيانا يحاول أن يقنع نفسه في فترة من فترات

خلوته بنفسه أن عليه أن يغير سلوكه ليتقرب من الناس ولكنه لا يستطيع أن ينفذ ذلك لأن الغرور غالبا ما يظهر من خلال تصرفاته من غير شعور منه، ويتكرر ذلك منه في كل مرة فينفر الآخرون منه ويعود وحيدا كما كان.

التشجيع المفيد البنّاء

يكون التشجيع مفيدا بنّاء وذا نتائج طيبة عندما يكون واقعيا يستحقه المشجَّع. فالتشجيع هو أشبه شيء بالدواء الذي يصفه الطبيب لمريضه. فالتفريط والإفراط في استعماله ضار يترتب عليه نتائج عكسية تنعكس على الفرد، وقد تتجاوزه الى الأسرة والمجتمع ككل.

ولو تعمقنا أكثر في تفسير العوامل النفسية الكامنة وراء عملية التشجيع والاستحسان لوجدنا أن الانسان في النهاية انما يشجع نفسه،لذا فان المبالغة في التشجيع إنما تعكس ضعفه في الناحية التي حدث فيها التشجيع،بمعنى أن المشجِّع لم تكن توقعاته قوية كما حدث. فعندما حدث ما كان توقعه له ضعيفا، اطلق عبارات التشجيع دون قيد. لذلك فان الاحكام العامة لا وجود لها في علم النفس والتربية،بمعنى اننا لن نستطيع اخضاع القوى النفسية لقوانين شبيهة بتلك التي تخضع لها المادة الجامدة في الفيزياء والكيمياء والرياضيات، لأن الأمر مختلف جدا وعليه فان حالات كثيرة قد تكون فردية في حدوثها، ولكن القاسم المشترك موجود بين جميع الحالات،والتفاوت في قوة التأثير هو تفاوت نسبي.

المكافأة

قد تكون المكافأة رمزية وليس لها قيمة مادية مثل الالقاب والاوسمة الفخرية.. وقد تكون المكافأة مادية وكلاهما من الوسائل التربوية المفيدة اذا ما استخدمت بالقدر المطلوب وأعطيت لمن يستحقها. ويمكن أن يكون للمكافأة أثر أقوى من التشجيع حيث أنها ملموسة ومرئية، ويمكن أن تعطي الفرد دفعا بشكل مستمر. ووقع المكافأة على النفس يختلف من فرد الى آخر، ومن وقت الى آخر، ومن بيئة الى أخرى أيضا. واذا كانت المكافأة وسيلة لتنمية التنافس البريء وحافزا على زيادة حجم العطاء وتحسينه بحيث ترى كل فرد من موقعه يبدع ويبتكر وسائل أفضل وسبلا أمثل لتحسين اداء العمل. وزيادة المردود، شيئا فشيئا، تقلل الوقت الضائع ويتيقن الجميع أن جهودهم تلقى كل تقدير فيسود الاخلاص ويصبح العمل محببا لدى النفس. ويشعر الفرد أنه قدم ما استطاع وأعطى ما بوسعه.

أقول انه عندما يشعر الفرد أنه أعطى ما بوسعه بأمانة تامة في مجاله ومن موقعه فإنه لا بد من أن تغمره الطمأنينة والراحة النفسية لأن القلق حالة نفسية مهما كانت مؤثراته الخارجية، والنفس المتوازنة قلما تشعر بذلك القلق. وقد لوحظ أن الأفراد ذوي المزاج المعتدل ينعمون ببنية جسمية متناسقة، وإن كان بعض علماء النفس قد عكس الأمر فقال: إنه من الملاحظ أن ذوي المزاج المعتدل هم ذوو الأجسام المتناسقة، أي أن الشعور الداخلي الذي يولده تناسق الجسم ينعكس على المزاج فيجعله معتدلا والأمر سيّان.

أما عن الأمور التي من الممكن أن تساعد في جعل المكافأة تربوية ونافعة فنذكر منها:

* أنْ تُعطى المكافأة لمن يستحقها لأن المكافآت العشوائية لا جدوى منها، وغالبا ما تترك آثارا سلبية على مردود الفرد مستقبلا، خاصة اذا كانت من نوع واحد، لأن ظاهرة حب الظهور أو دافع حب الظهور لا يشبع في هذه الحالة. لذا فإن المكافأة التي تُعطى بدون استحقاق يمكن أن تسهم في إخفاء التفوق وكبت الإبداع. فمن المعلوم أن الإبداع لا بد من أن تتوفر له البيئة المناسبة لينمو ويزدهر للعيان. وقد ثبت واقعيا أن البيئة غير الصالحة بإمكانها أن تحرف الإبداع وتجعله شؤما على صاحبه وعلى المجتمع بشكل عام. ولهذا فانه لا يجوز من الناحية التربوية مساواة الفرد المتفوق بالفرد العادي في المكافأة،وقد يكون من الأفضل عدم المكافأة في مثل هذه الحال لأنها قد تترك آثارا نفسية عكسية. أما تأثير المكافأة على من لا يستحقها فهو أشد وأخطر لأنه ربما يصاب بنوع من الغرور وينظر الى امكاناته نظرة بعيدة عن الواقع صعودا وبالتالي ينتكس كلما شعر أن الآخرين كشفوا أوراقه وعرفوا حقيقة أمره.

* أن تكون المكافأة بقدر، أي أن تتناسب مع درجة العطاء والبذل لأنه ليس من السهل أن يتخلص المرء من الشعور الذي يلازمه ويردده في أعماقه، انك لا تستحق المكافأة. والموقف التربوي السليم هو أن يعاهد المرء نفسه بأن يكون عمله أفضل في المرات القادمة، والأمل هو الدافع الرئيسي لتحسين مستوى أداء العمل.

* يُحبَّذ أن يكون التشجيع والمكافأة علنيا لأن ذلك أوقع في النفس وأدعى للمنافسة حيث أن الفرد بفطرته يميل الى تقليد من يشعر أنه أعلم منه في ناحية معينة أعجبته. وقد ذكر ذلك العالم «ابن خلدون» في مقدمته وبيَّن أن الأدنى يقلد الأعلى، فإذا كان التقليد موجِّها طيبا سادت في المجتمع الطيبات وعمّ الخير، وهذا دور عظيم الفائدة يمكن أن تتولاه أجهزة الاعلام المتنوعة بحيث تُظهر المواقف والسلوكيات الطيبة وتعرضها بشكل مناسب لتدفع الناس للاقتباس منها والأخذ بها □



من اليمين: صاحب السمو الأمير عبدالله بن فيصل — رئيس المؤتمر، صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد — أمير المنطقة الشرقية، صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل — أمير منطقة عسير، سعادة الاستاذ عبدالحميد الرميثي — المدير التنفيذي لمعهد الخليج .

أضـواء عـلى:

المؤتمر الخليجي الرابع لإدارة الموارد البشرية

بقلم : ابراهيم أحمد الشنطي / هيئة التحرير

عقد في مدينة الجبيل الصناعية ، بين الثلاثين من صفر والثالث من ربيع الأول ١٤٠٧هـ ، المؤتمر الخليجي الرابع لادارة الموارد البشرية ، وكان موضوع البحث فيه حول "تحسين الانتاجية". وقد افتتح المؤتمر صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد - أمير المنطقة الشرقية ، ورأسه سمو الأمير عبدالله بن فيصل بن تركي - الأمين العام للهيئة الملكية للجبيل وينبع ، وشارك فيه نحو ١٨٠ شخصاً يمثلون العديد من الشركات والمؤسسات المختلفة والدوائر الحكومية في مختلف بلدان الخليج .



عدد من كبار المدعوين لحضور حفل الافتتاح والمشاركين في المؤتمر.





ينظم معهد الخليج لادارة الموارد البشرية مؤتمرا سنويا يعقد كل عام في احدى مدن دول مجلس التعاون الخليجي، حيث يلتقي المهتمون والعاملون في الادارة وتنمية الموارد البشرية من أبناء دول المجلس، من أجل ايجاد اطار مناسب لتبادل الخبرات وتطوير التجارب وتوثيق الروابط والعلاقات المهنية بين الأفراد والمؤسسات والدول.

وقد عقد المؤتمر الأول لادارة الموارد البشرية في مدينة ابو ظبي، بدولة الامارات العربية المتحدة، في مارس ١٩٨٣، وكان برعاية محافظ المصرف المركزي لدولة الامارات العربية. وقد شارك فيه ٣٨ شخصا معظمهم من دولة الامارات.

أما المؤتمر الثاني فقد عقد في مدينة الشارقة عام ١٩٨٤ برعاية الشيخ سلطان بن محمد القاسمي، حاكم الشارقة، وشارك فيه ٥٦ شخصا معظمهم من دول مجلس التعاون. وكان هذا المؤتمر دعما وتأكيدا لمسيرة المعهد في سبيل تنمية الموارد البشرية من ابناء المنطقة.

ثم جاء المؤتمر الثالث الذي عقد في مدينة دبي في اكتوبر١٩٨٥، فزاد عدد المشاركين فيه نحو ٤٥ في المئة عما كان عليه في عام ١٩٨٤ حيث بلغ ٨١ شخصا من مختلف دول مجلس التعاون.

ويأتي المؤتمر الرابع، الذي نحن بصدد الحديث عنه، والذي استضافته الهيئة الملكية للجبيل وينبع، وعقد في مدينة الجبيل الصناعية. الجدير بالذكر أن عدد المشاركين في هذا المؤتمر الرابع قد بلغ مجموع عدد الذين شاركوا في المؤتمرات الثلاثة السابقة له. ما بين اداري ومحاضر ومشارك يمثلون مختلف المؤسسات والهيئات والشركات والمصالح الحكومية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. وقد قدم للمؤتمر اثنتا عشرة ورقة عمل، عرضت على شكل محاضرات، وشارك في تقديمها وعرضها نحو عشرين شخصا من ذوي الخبرة في مجالات تخصصاتهم.

حفل الافتتاح

وفي حفل الافتتاح الذي جرى مساء اليوم الأول ألقى سمو الأمير محمد بن فهد ابن عبدالعزيز كلمة جاء فيها: «إن انعقاد هذا المؤتمر في هذه المدينة بالذات (الجبيل) يأتي متمشيا مع توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله، حيث تمثل تنمية الموارد البشرية احد أبرز أولويات الخطة الخمسية الرابعة للمملكة العربية السعودية. فالمعيار الحقيقي لحضارات الأمم لا يقاس بعدد المصانع الضخمة أو العمارات الشاهقة، ولا بتوفر أحدث التقنيات فقط، وانما يقاس بتقدم الانسان وقدراته على تشغيل هذه المصانع



الدكتور جون كندريك — استاذ الاقتصاد بجامعة واشنطن.

صاحب السمو الملكي الدكتور منصور بن متعب بن عبدالعزيز — الاستاذ المساعد بكلية العلوم الادارية بجامعة الملك سعود.



«اضاءات حول تجربة الهيئة الملكية للجبيل وينبع في مجال السعودة» كان عنوان الورقة التي استعرضها ثلاثة من المسؤولين في الادارة العامة لمشروع الجبيل وهم من اليمين، السادة: جاسم الحجي — نائب المدير العام للخدمات العامة، محمد المهنا — مدير ادارة التخطيط والتنمية والتنظيم، محمد الصالح — مدير تطوير الكفاءات.

واستخدامه لهذه التقنيات بما يتناسب وظروفه البيئية والثقافية والاجتماعية، واحتياجاته الفردية والجماعية، فالانسان هو محور التنمية وركيزتها الاساسية، بل وهدفها الأول والأخير».

وألقى سمو رئيس المؤتمر كلمة في الحفل جاء فيها: «ان قضية بناء الانسان وتنمية الموارد البشرية الوطنية بدول مجلس التعاون الخليجي لم تعد أمنية أو مجرد رغبة بل هي هدف حتمي لا بد من تحقيقه، وهي مسؤولية فردية وجماعية لا بد أن نتحملها جميعا لأنها أمانة في أعناقنا أمام الأجيال القادمة». كما أشار سموه الى المؤتمر فقال: «ان المؤتمر الخليجي الرابع لادارة الموارد البشرية ليس سوى حلقة ضمن سلسلة متصلة بوحدة الأهداف والمشكلات والطموحات، وهذه السلسلة القوية هي المسيرة الخليجية من خلال مجلس التعاون الخليجي».

ثم ألقى الأستاذ عبدالحميد الرميثي — المدير التنفيذي لمعهد الخليج لادارة الموارد البشرية، كلمة في حفل الافتتاح جاء فيها: «ان الانسان هو الثروة الحقيقية لأية أمة، ولست بحاجة لتسجيل مئات المواقع التي تثبت مصداقية الرؤية، ويكفي تأملا للتجربة السعودية في التنمية والبناء لنجد النجاحات الحقيقية وبالذات على مستوى خطط وبرامج السعودة، ومدينة الجبيل الصناعية دليل ناطق على كل هذا.»

أوراق العمل والمحاضرات

ألقيت في اليوم الأول من أيام المؤتمر ثلاث محاضرات في الصباح، ثم عقدت جلستا عمل في المساء. وكانت المحاضرة الأولى ملخصا لورقة عمل بعنوان «تحسين الانتاجية بين المفهوم والاستراتيجية» قدمها الدكتور جون كندريك — استاذ الاقتصاد بجامعة جورج واشنطن. ومما جاء في مقدمة المحاضرة، ان تحسين الانتاجية على مستوى بلد ما، هو العامل الرئيسي وراء الزيادات الحقيقية في دخل الفرد فيها. فنحن نستطيع أن نستهلك أكثر وأن نستثمر أكثر فقط عندما ننتج أكثر. وذلك يتم بزيادة ما يبذله الفرد أو بزيادة ما ينتجه أو بكليهما معا، وهذا أيضا طاقة مضادة للتضخم. لأن تكلفة المنتوجات تزداد بنسبة أقل من عامل الربح التجاري مما يؤدي الى تحسين الانتاج. وكعنصر مؤثر في مستوى الأسعار العالمية فإن تحسين الانتاج يؤثر أيضا على قيمة عملة البلد، وكذلك في التنافس الدولي والاقتصاد الوطني.

وفي عالم الصناعة، فإن المعدلات المختلفة لنمو الانتاج تؤثر على تكاليف الوحدة واسعارها. وهذا بدوره يحدث تغيرات في منتوجات الهيكل الصناعي وفي عملية توظيف الأيدي العاملة، وكذلك في تنافس الشركات العاملة في الصناعات المتنوعة لكلتا السوقين المحلية والدولية. كما أن تحسين الانتاجية، بالنسبة للشركات، يؤثر على نسبة أرباحها وعلى معدلات المردود على رأس المال المستثمر.



الاستاذ حسن علي الزاير — رئيس ادارة تنمية القوى العاملة بالشركة الشرقية للبتروكيماويات (شرق).



الاستاذ زين العابدين أمين — مدير عام تدريب التسويق بالخطوط الجوية العربية السعودية.

وكانت الورقة الثانية بعنوان: «الانتاجية في القطاع الحكومي في المملكة العربية السعودية» قدمها صاحب السمو الملكي الامير الدكتور منصور بن متعب بن عبدالعزيز، الاستاذ المساعد بكلية العلوم الادارية بجامعة الملك سعود. وكانت ملخصا لورقة بحث قدمت للمؤتمر، ناقش فيها الباحث باختصار النقاط الرئيسية المتعلقة بالموضوع وهي: أهمية تحسين الانتاج الحكومي، تعريف الانتاجية، التطور التاريخي لتحسين الانتاجية في القطاع الحكومي، خواص ومجال التطور الحالي لبرامج تحسين الانتاجية، وفرضيات لتحسين انتاجية القطاع الحكومي، وقد قسم البحث من منظور تاريخي الى ثلاث مراحل: مرحلة البناء والانشاء من ١٩٠٠ — ١٩٥٢م. ومرحلة المركزية من ١٩٥٣ — ١٩٦٩م. ومرحلة التخطيط من ١٩٧٠ — ١٩٨٠م.

وفي ختام البحث ورد ثلاثة اقتراحات لتحسين الانتاجية في القطاع الحكومي وهي:

- مراعاة الأوضاع الثقافية والاجتماعية للبلد، واعطاء الأولوية للتعاليم الاسلامية.
- بناء وتطوير برنامج منهجي على أساس منظور تزايدي يتم بطريقة انتقائية تدريجية بدلا من تطبيق الطريقة الشاملة.
- ايجاد مؤسسة أو ادارة تكون مسؤوليتها الكلية ومهمتها الأولى ادارة الانتاجية في القطاع الحكومي.

أما الورقة الثالثة فقد اعدتها الهيئة الملكية للجبيل وينبع وكان عنوانها «اضاءات حول تجربة الهيئة الملكية للجبيل وينبع في مجال السعودة» وقد عرضها ثلاثة من المسؤولين في الادارة العامة لمشروع الجبيل في الهيئة الملكية للجبيل وينبع، وهم السادة: جاسم الحجي — نائب المدير العام للخدمات العامة، محمد المهنا — مدير التخطيط والتنمية والتنظيم، ومحمد الصالح — مدير تطوير الكفاءات.

الجدير بالذكر أن تأسيس الهيئة الملكية للجبيل وينبع قد تم في عام ١٣٩٥هـ. واسندت اليها مهمة تخطيط وانشاء وادارة التجهيزات الاساسية اللازمة لتطوير وتشغيل مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين، وكان من أهدافها الرئيسية اعداد القوى الوطنية العاملة لتتولى مسؤولية ادارتها. ومع تقدم العمل اتسعت قاعدة خدمات التطوير الوظيفي فتم تصميم خطط تدريبية لمعظم الموظفين السعوديين بلغت حوالي ٦٤٠ خطة للمشروعين. وتأخذ هذه الخطط بعين الاعتبار أهداف الموظف وطموحاته العملية والامكانات التطويرية، كما تضع أهدافا تطويرية قصيرة ومتوسطة المدى.

كذلك اشارت ورقة العمل الى أن الهيئة قد




١ — الاستاذ عبدالرحمن العبد القادر — نائب رئيس الديوان العام للخدمة المدنية بالمملكة.

٢ — الدكتور حسين عمر منصور — أمين عام مجلس القوى العاملة في المملكة.



ندوة مشتركة ساهم فيها، الأول من اليمين، الاستاذ جاسم محمد ابو سهيل — من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بدولة البحرين، وقد تحدث عن خطة الوزارة في هذا الشأن. فالأستاذ سعد ناصر بن سلمة — مدير عام الشؤون الادارية والتنظيم في سابك — الثالث من اليمين، فالأستاذ عبدالمحسن شعبان العسيري — مدير ادارة القوى العاملة والتدريب في سابك — الأول من اليسار، فالأستاذ ياسين حمد الرشود — مدير ادارة التخطيط وشؤون العاملين في بنك الكويت المركزي — الثاني من اليمين — الذي قدم المتحدثين.

أنشأت مرافق تدريب مؤقتة في عام ١٣٩٩هـ. ثم أنشأت معهدا دائما للتدريب قام باعداد أكثر من ٢٧٠٠ متدرب. وفي ينبع، على البحر الأحمر، أمكن الاستفادة من مرافق التدريب المؤقتة، وتم تخريج ٢٧٩ متدربا.

أما جلستا العمل اللتان عقدتا في مساء اليوم الأول فقد كانت الأولى بعنوان «ثلاثية التطبيق الاداري في اليابان» وقدمها الأستاذ حسن علي الزاير — رئيس ادارة تنمية القوى العاملة بالشركة الشرقية للبتروكماويات (شرق) في مدينة الجبيل الصناعية. وقد استعرض في كلمته تجربة اليابان في مجالات التصنيع والانتاج التي أصبحت مثارا للبحث والاستقصاء والمتابعة. وتساءل عما اذا صارت اليابان اليوم معيارا للتطبيق الاداري والنمو الاقتصادي، ينافس الدول المتقدمة.

وقد بحث المحاضر في الدراسة التي قدمها بهذا الخصوص ثلاثة أقسام هي: الادارة والجوانب الاجتماعية ذات العلاقة بها، منهج النمو الاقتصادي في اليابان، ادارة التشغيل والانتاج. ثم بحث ضمن القسم الأول عدة أمور منها: اتخاذ القرار الاداري، العمل وتعريف الخبرة، اتساع دائرة التخصص، التقييم والزيادات وعددا من النقاط الأخرى. وتحدث في القسم الثاني، وهو النمو الاقتصادي في اليابان، عن عوامل البيئة، منهج النمو الاقتصادي. وأوضح أن النمو يقود الى استثمار رؤوس الأموال، فزيادة الانتاج، فانخفاض التكلفة، ثم انخفاض سعر البيع للمستهلك، فيتسع السوق، ويزداد الطلب، فيزداد النمو والأبحاث والتطوير ويتم ابتكار استثمارات جديدة. وتحدث في القسم الثالث عن الطلب في نفس الوقت، واكتمال الجودة النوعية وحلقاتها، وكذلك الجودة النسبية وانعدام الخطأ.

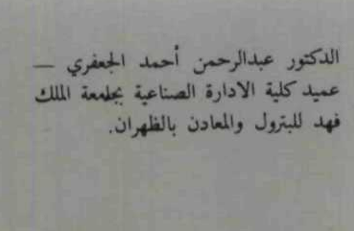
أما الجلسة المسائية الثانية فكانت بعنوان «الانتاجية ودماغ الانسان» وقدمها الاستاذ زين العابدين أمين — مدير عام تدريب التسويق بالخطوط الجوية العربية السعودية بجدة. وقد استعرض فيها امكان تطوير التفكير بالتدريبات الفعلية على الاستخدام الأمثل للدماغ. وذكر أن الأبحاث في هذا المجال قد أوضحت أن الجانب الأيسر من الدماغ يقوم، عند معظم الناس، بمهمة التحليل والتسلسل والكلام، بينما الجانب الأيمن يقوم باداء المهام ذات النظرة الشمولية والحدس والخيال والأفكار غير اللغوية، وان الاداري الفعال هو الذي يستطيع استخدام الجانبين.

وأشار الى أن علاقة الدماغ بالانتاجية والادارة كبيرة جدا، وأن هيمنة الجانب الأيسر أو الأيمن من الدماغ هي التي تقرر مدى نجاح الفرد في اداء عمله وادارته له. إذ يصعب على الشخص الخيالي، الذي يسيطر عليه الجانب الأيمن من دماغه،اتقان الأعمال الحسابية وتدقيق الميزانية. وعليه اذا كان لا بد له من الالمام بذلك، بحكم مركزه، ان يتدرب على استخدام الجانب الأيسر وامتلاك انتاجية الدماغ



الدكتور عيسى الملا — مدير عام المركز الاستشاري للتدريب والتنمية الادارية بالخبر.





الدكتور عبدالرحمن أحمد الجعفري — عميد كلية الادارة الصناعية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران.





الاستاذ ناصر محمد القرعاوي — من ادارة تحرير صحيفة الرياض.

كاملة. فالاداري الفعال هو الذي يستخدم جميع أجزاء دماغه. واذا كان لديه نقص فعليه أن يغطيه عن طريق مساعديه وموظفيه الذين يعملون تحت امرته، وبذلك يستطيع أن يطور أسلوب ادارته ومعرفته لقدرات وامكانات موظفيه.

وفي اليوم الثاني للمؤتمر عرضت خمس أوراق عمل، استعرضت خلال ثلاث محاضرات وندوة، وجلسة عمل واحدة.

وكانت المحاضرة الأولى للأستاذ عبدالرحمن عبدالمحسن العبدالقادر — نائب رئيس الديوان العام للخدمة المدنية بالمملكة. وكانت حول «أثر تصنيف الوظائف على اداء الجهاز والموظف». وقد استعرض في محاضرته نشأة تصنيف الوظائف في المملكة حيث بدأت بعد عام ١٣٨٠هـ فكانت في بداية الأمر مهمة دراسية، وفي أوائل عام ١٣٩١هـ أخذ بتطبيقها.

كذلك تحدث في كلمته عن دور تصنيف الوظائف في عمليات شؤون الموظفين وكيفية احداث الوظائف وخاصة في الأجهزة الحكومية. ثم تطرق الى تعريف الأعمال وأسلوب اختيار الموظفين المؤهلين للقيام بها بصورة جيدة يحقق الهدف الذي انشئت من أجله. وتحدث عن نظام الترقيات وأهدافها وتقويم الأداء والتقارير المتعلقة به واختيار العناصر المناسبة المقتدرة لاداء الوظائف الأعلى وتحقيق العدالة بين الموظفين باتباع أسلوب علمي دقيق بعيدا عن العمومية والعفوية. كذلك تحدث عن التدريب وايجابياته وأهدافه، وعن الرقابة وسير العمل والتطور الوظيفي والواجبات والمسؤوليات. وأشار في ختام كلمته الى أن تصنيف الوظائف يجب أن يتم بوعي تام وإدراك متكامل لمدى الحاجة اليها وما يناسب تلك الحاجة.

بعد ذلك عقدت ندوة مشتركة ساهم فيها كل من السادة: عبدالمحسن شعبان العسيري — مدير ادارة القوى العاملة والتدريب، وسعد ناصر بن سلمة — مدير عام الشؤون الادارية والتنظيم، وكلاهما من سابك، وجاسم محمد ابو سهيل — البحرين.

وكان القسم الأول من الندوة حول «تجربة سابك في تنمية الموارد البشرية الوطنية والالتزام بخطط السعودة». ومما يذكر.. أن سابك قد تأسست عام ١٣٩٦هـ لاستثمار موارد المملكة البشرية واعدادها لحمل مسؤوليات وتقنيات التصنيع المتطور واستثمار ثرواتها الطبيعية من هيدروكربونات ومعادن وتحويل ما يمكن منها الى منتجات صناعية لتنويع مصادر الدخل. ولذا فقد سار هدفها من أجل «بناء الانسان» مواكبا لهدفها في «بناء المصانع» ومحققا له في الوقت ذاته.

أما القسم الثاني من الندوة فكان حول خطة تدريب عشرة آلاف بحريني، وكان البحث مقسما الى أربعة أبواب هي:

١ — الادارة والاشراف والمحاسبة والمهن المتخصصة العليا كالهندسة والطب.

٢ — المهن المتخصصة الفنية والوسطى.

جانب من المشاركين في أعمال الندوة العامة التي عقدت في ختام أعمال المؤتمر والتي دار النقاش فيها حول موضوع «انتاجية الخليجي.. الدولة والوظيفة».



الاستاذ أحمد ابراهيم المبارك — مدير عام الهيئة الملكية، يقدم، نيابة عن سمو رئيس المؤتمر، هدية للاستاذ عبدالحميد الرميثي — المدير التنفيذي لمعهد الخليج وأمين عام المؤتمر.



٣ — المهن الكتابية الوسطى وما يتصل بها.
٤ — المهارات الحرفية.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الخطة بدأت عام ١٩٨١ بالتنسيق بين وزارة العمل والشؤون الاجتماعية والمؤسسات الخاصة التي لديها الموظفون والعاملون من جهة، وبين المؤسسات التعليمية التي ستتولى مهمة التدريب من جهة أخرى.

وبعد ذلك قدم الدكتور حسين عمر منصور — أمين عام مجلس القوى العاملة في المملكة، ورقة عمل بعنوان «العمالة الوطنية ومرحلة ما بعد انجاز التجهيزات الاساسية»، وقد استعرض فيها منجزات التنمية كالنقل والمواصلات، الاسكان والعمران، المرافق، الصحة، التعليم، الصناعة، والزراعة. كذلك تحدث عن التدريب ومسألة العرض والطلب على العمالة والموازنة بينهما. كما عرض في ورقته عددا من الجداول والبيانات الخاصة بمراحل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي والجامعي وتطرق الى معاهد ومراكز التدريب الفني والمهني ومعاهد المعلمين وغير ذلك مما له أثر في تطوير القوى العاملة الوطنية.

وفي ختام ورقة العمل طرح عددا من التوصيات، منها ضرورة اعادة النظر في نظام التدريب في المملكة ليواكب احتياجات المرحلتين الحالية والمقبلة، اعداد المدربين اعدادا تاما، اختيار النوعية الجيدة من المتدربين، التنسيق والتفاعل بين مراكز التدريب والجهات المستفيدة من البرامج للاتفاق على مستواها وتخصصاتها، العمل على زيادة انتاجية العمالة بوجه عام والعمالة الوطنية بوجه خاص حيث أن المملكة تتجه الى التصنيع والزراعة المتطورة، النظر في المكافآت المالية والعينية لطلاب الجامعات لترشيد توجهاتهم نحو التخصصات المطلوبة.

أما المحاضرة الأخيرة لليوم الثاني فقد كانت للدكتور عبدالرحمن أحمد الجعفري — عميد كلية الادارة الصناعية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران. وقد استعرض فيها ورقة العمل التي قدمها للمؤتمر بعنوان: «العلاقة بين النظام الاداري وفعاليته في المنظمات الصناعية متعددة الجنسية — دراسة لعشر مؤسسات تعمل في منطقة الخليج العربي».

وقد جاء في ملخص الدراسة أن معظم المشاريع الصناعية القائمة والتي تحت التنفيذ في منطقة الخليج العربي يمثل جهودا مشتركة بين جنسيات متعددة. وهذه المشاريع امام تحد صناعي تنافسها فيه مؤسسات مماثلة في دول أخرى لها نظمها الادارية المرسومة، ويديرها ويعمل فيها، في أغلب الأحيان، أفراد من جنسية واحدة مما يجعل ادارتها أيسر وأسهل. وقد أظهرت هذه الدراسة التي شملت عشر شركات في أربع من دول الخليج، أن النظام الاداري السائد على مستويات الادارة العليا هو النظام الاستشاري، وان الأفراد يطمحون الى مشاركة أكثر مما هو معمول به. وقد دللت الدراسة على تقارب الفكر الاداري بين



جانب من المشاركين في أعمال المؤتمر الخليجي الرابع لادارة الموارد البشرية.



المديرين بغض النظر عن الثقافة الاقليمية أو الجنسية. كما وجد أن هناك علاقة سلبية، غير مهمة احصائيا، بين مستوى التعليم والنظام الاداري المدرك، مما يؤيد وجهة النظر القائلة، بأنه كلما ارتفع المستوى التعليمي والثقافي للعاملين ازداد طلبهم من أجل المشاركة في صنع القرارات.

ثم قُدم بحث بعنوان: «الخيال الاداري وامكانات الاستفادة من الطاقة الذهنية الكاملة — الاستثمار المجدي». قدمه الدكتور عيسى الملا — مدير عام المركز الاستشاري للتدريب والتنمية الادارية في الخبر، وتعرض فيه لجانب التركيز على نظرية الخيال الاداري، مستعينا في ذلك بالأفكار الادارية المستندة الى علم النفس الاداري لمساعدة الفرد والمجتمع لتحقيق الاستفادة القصوى من الطاقات الذهنية المؤدية الى رفع الانتاجية بالتطبيق العملي الفعال. وقد أورد امكان تصور نموذج نظري يتكون أساسا من ثلاث عمليات ذهنية افتراضية للعقل وهي: ظاهرية، وباطنية، وباطنية ابتكارية. ثم بين ذلك باستعمال بعض البيانات والرسوم الايضاحية. وذكر أن الدراسات تشير الى أن الانسان العادي لا يستخدم أكثر من ثمانية في المائة من امكاناته الذهنية في الظروف العادية. كما أوضح أن العمليات الذهنية الظاهرية تبدأ بادراك الأمر أو الوضع ثم الربط بينه وبين حالة مشابهة ثم تقييم الوضع الجديد وبعدها يأتي اتخاذ القرار المناسب.

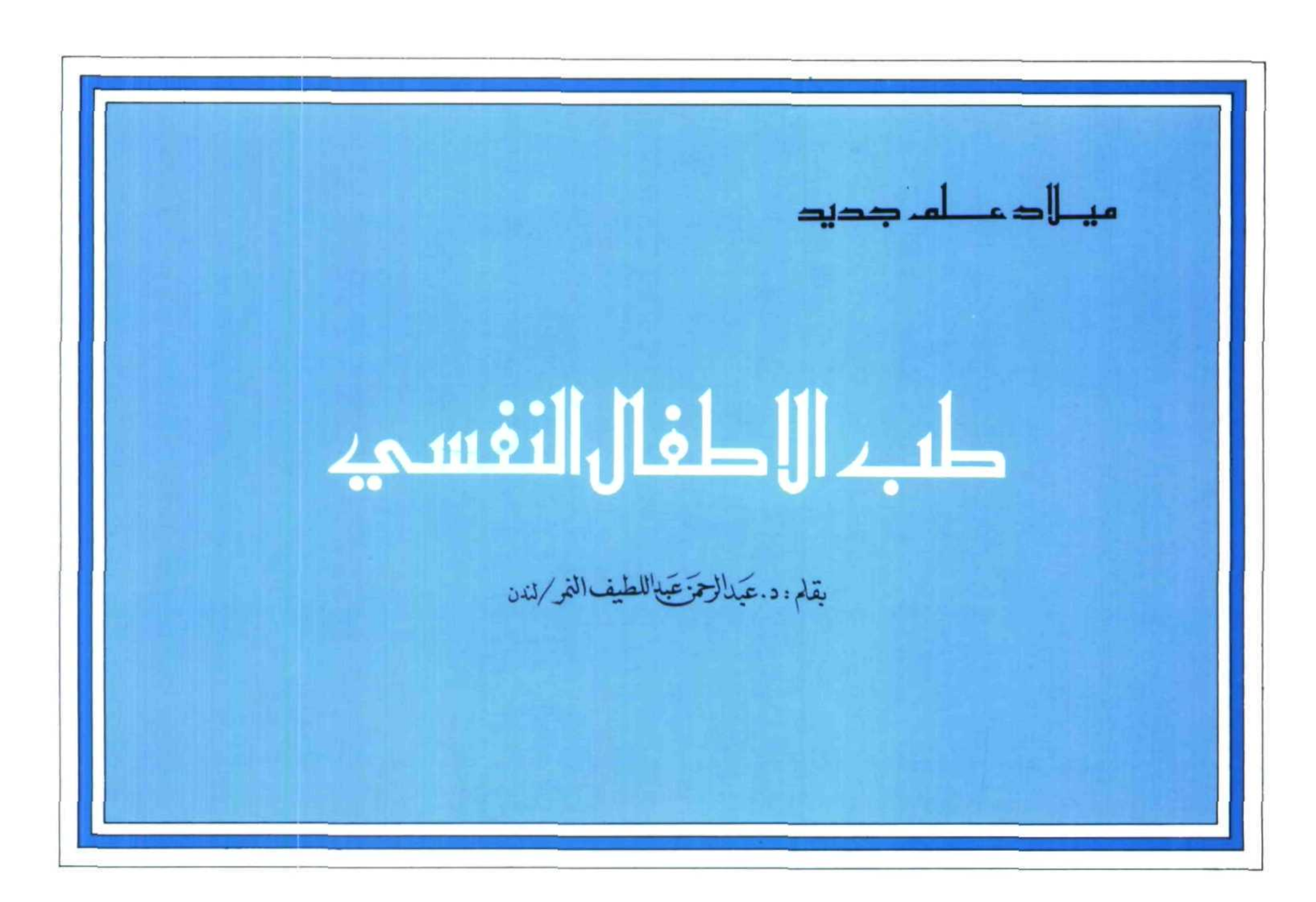
وفي اليوم الثالث والأخير لانعقاد المؤتمر القى الاستاذ ناصر محمد القرعاوي — من ادارة تحرير جريدة الرياض، محاضرة بعنوان «الاعلام وأثره على مسيرة التنمية الخليجية». وأشار فيها الى أن العلاقة بين الاعلام الخليجي والتنمية داخل اقطار مجلس التعاون علاقة متلازمة، فلا تنمية دون اعلام ولا اعلام دون تنمية. يشتركان في الهدف، ويتحدان في الوسيلة.

كما أشار الى أن الاقتصاديين وعلماء الادارة والمخططين قد اعطوا للاعلام أهمية بالغة، من منطلق تنموي بهدف الاستعانة به للوصول الى تحقيق الأهداف والاستراتيجيات المرحلية التي استهدفت الانسان وجعلت منه مرتكزا للرقي.

وقبيل اختتام أعمال المؤتمر عقدت ندوة عامة حول: «انتاجية الخليجي.. الدولة والوظيفة!» وقد شارك فيها كل من السادة: د. حسين عمر منصور — أمين عام مجلس القوى العاملة في المملكة، والاستاذ سليمان عبدالرزاق المطوع — مستشار رئيس مجلس ادارة شركة نفط الكويت وعضو مجلس الخدمة المدنية، و د. فهد العرابي الحارثي — المشرف العام لمجلة اليمامة.

وقد تبودلت في الندوة مختلف الآراء والأفكار كما طرح فيها العديد من الأسئلة، وخاصة فيما يتعلق بالتعليم والتدريب ومناسبتهما للعمل المعروض والمتوفر □

تصوير: محمد آل شبيب/ارامكو



الأطفال زهرة الحياة الدنيا وزينتها. ومع نبض الحياة في اجسامهم الغضة، تخفق اسمى العواطف: عاطفة الأبوة وعاطفة الامومة. وعلى ايقاع سجعهم الجميل، ترقص قلوب الأمهات والآباء فرحا وجذلا.

ومنذ اللحظة الأولى التي يخرج فيها المولود الى الحياة، يتعالى صياحه في إعلان قوي عن وجوده. وعلى الرغم من أن العلم يجد تفسيرا آخر لصياح المولود — خلاف الاعلان عن الوجود، اذ يعلل ذلك الصياح بأنه ضرورة للرئتين لتبدآ عملهما في نقل أنفاس الحياة الى ضيف الحياة الجديد، بعد أن كانت أمه تقوم عنه بهذا العمل — برغم ذلك التفسير العلمي — فان المعتقدات المختلفة المرتبطة بصياح الطفل عند مولده، يبقى لها جمالها ومكانتها في حياتنا، حتى وإن جنحت هذه المعتقدات الى الإفراط في التشاؤم، كما ذهب الى ذلك «فيلسوف المعرة» في قوله:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها، وإنها
لأرحب مما كان فيه وأرغد

وفي رأي الأطباء، فإن صياح الوليد يصبح ذا أهمية خاصة، مع مطلع الشهر الثالث من العمر. اذ يتحول الصياح — في هذه السن بالذات — الى وسيلة تعبير عند الطفل. ويستطيع الوليد في شهره الثالث أن يستخدم الصياح بكفاءة، للتعبير عن حاجاته. فهو يبكي عندما يفتقد أمه، ويبكي عندما يقرصه الجوع، ويبكي عندما تؤذيه افرازات الاخراج. كما أنه يبكي عندما يتهدده خطر من أي نوع. وهذه القدرة على استخدام الصياح كأداة تعبير، تقل عند الأطفال في الشهرين الأول والثاني من العمر. اذ يفتقر الصغير في تلك السن الى «الخبرة» التي تمكنه من التحكم في صياحه بما يلبي احتياجاته.

لكن هل يمكن أن يكون للصياح مدلول آخر، غير مدلول تلبية الحاجات؟ وهل يعكس صياح الطفل المستمر، أو انقطاع صياحه تماما، اضطرابا عضويا — أو نفسيا — من أي نوع؟

هذا ما تجيب عنه هذه الدراسة، الواردة من «مركز دراسات الصحة العقلية» في «ميريلاند» بولاية «ميتشجان» الأمريكية.

الأطفال معقدون نفسيا

يخطىء من يظن أن الأطفال «أغبياء»، وأن عقولهم قاصرة! والحقيقة أن الطفل لا يقل في تعقّد تركيبه عن الانسان البالغ.

ويشعر الطفل بكل ما يجري في البيئة المحيطة به. فإذا كانت الأسرة هادئة مستقرة، انعكس ذلك على الصغير. فنعم بالراحة والهدوء. أما إن بددت المشاحنات صفو الأسرة، وعكرت هدوءها، فان الصغير يعاني بدوره من هذا الشقاق، فتضطرب نفسه وتفقد سكينتها.

وكثير من الناس يعتقد أن الأطفال لا يصابون بالأمراض النفسية. هكذا يقول «د. جستن كول»، من «مركز ايرفين الطبي»، التابع لجامعة كاليفورنيا. ويضيف: لقد تعرفنا في اطفال لا تتجاوز أعمارهم أياما قليلة، الى أمراض نفسية مثل الاكتئاب والقلق، وبعض حالات الاضطراب العقلي، والذُّهان! (الذُّهان اضطراب عاطفي خطير يتسم بتدهور الشخصية، ويتميز بالهلوسة والأوهام).

والتأكيد على ان البراعم الصغيرة تصاب بالأمراض النفسية، يأتي من أكثر من جهة طبية. ففي مركز دراسات الصحة العقلية في «ميريلاند» — وهو صاحب هذه الدراسة — قام طبيب الصحة النفسية للأطفال، «د. ستانلي جريتربان»، بحل معضلة طفلة في شهرها الثاني من العمر. فكانت تلك الطفلة هادئة هدوءا غير طبيعي، وعلى وجهها ترتسم علامات الكآبة! وكانت الطفلة تتحاشى النظر الى كل من يقترب منها. وحين ترفعها أمها من الفراش، فإن ساقيها تتهدلان كما تتهدل ساقا دمية! ومع أن كثيرا من أطباء الأطفال حاولوا علاج هذه الطفلة، الا أنها ظلت تعاني مما هي فيه الى أن فحصها «د. جريتربان»، وشخَّص مرضها على انه «اضطراب عاطفي مبكر». وبعد اسبوعين من العلاج النفسي، استردت الطفلة بسمتها وعادت إلى طبيعتها!

ويؤكد «د. جريتربان» — والأطباء العاملون معه في الحقل نفسه — ان اضطرابات الاطفال النفسية تؤثر على قدرتهم على التعلم، كما تعوق بناء الشخصية السوية لديهم. واذا ترك علاج الأطفال المضطربين نفسيا، الى حين يشبون عن الطوق، فسيكون الوقت متأخرا جدا لمنع هذه الاضطرابات من ترك آثارها الهادمة على شخصية الطفل.

والجدير بالذكر ان اضطراب الطفل نفسيا يرجع أول ما يرجع الى وهن الرابطة بينه وبين أمه. اذ تعمد كثير من الأمهات الى ترك أطفالهن، لا سيما في الشهور الأولى من العمر، مع من ينهض عنهن بحاجات الطفل. كما أن اتجاه كثير من الأمهات الى إرضاع اطفالهن صناعيا، بدلا من الرضاعة من الثدي، يزيد من شعور الصغير بالعزلة عن أمه. وانفصام العرى بين الطفل وأمه، يولِّد في النهاية تلك الاضطرابات النفسية التي تعاني منها أفلاذ الأكباد — دون ذنب أو جريرة.

مولد علم جديد

أدى الاهتمام المتزايد بالاضطرابات النفسية لدى الأطفال، وانعكاساتها على تكوين الشخصية، الى أبحاث كثيرة في هذا الشأن. فإضافة الى «مركز دراسات الصحة العقلية»، في ميريلاند، والذي يعتبر الرائد في هذا المضمار، هناك «مركز ايرفين الطبي»، التابع لجامعة «كاليفورنيا»، وهنا أيضا «عيادات أبحاث الصحة النفسية»، التابعة لجامعة «ييل»، وغير ذلك كثير من المراكز المهتمة بدراسة الموضوع.

ومن مجموع هذه الأبحاث والدراسات، المتعددة المصادر والاتجاهات، تكونت النواة لعلم جديد هو: «طب الأطفال النفسي».

ويهتم العلم الجديد، كما يبدو من اسمه، بالصحة النفسية للأطفال، لا سيما من هم دون الثالثة من العمر. ولا يعني ذلك أن الطفل اذا تجاوز الثالثة يخرج من حظيرة الاهتمام، أو أنه يصبح سالما من التعرض للاضطرابات النفسية. وإنما المغزى من ذلك هو الفصل بين من يملك رفع الصوت بالشكوى، وبين من لا حول له. فطفل الثالثة وما بعدها، يستطيع الكلام بيسر، ويمكنه أن يعلن، رغم سنه الصغيرة، ما يضايقه، وينغص عليه جنة طفولته. ومن هنا، يستطيع طبيب الأطفال تحليل شكواه، ثم علاجه، ان نفسيا أو جسديا، وفقا لمقتضى الحال.

أما الصغير على دَرَج الحياة الأول، فهو ليس غض الأهاب فحسب، بل لا يملك الافصاح عن متاعبه. وسبيله الوحيد للتعبير، تلك الصرخة التي تطلقها حنجرته الصغيرة بين حين وآخر، والتي تحتاج الى جهد لفهمها، وتحتاج الى إلمام واسع بنفسية الطفل لتفسيرها تفسيرا صحيحا. ومن هنا أيضا، يحتاج العلم الجديد الى التخصص.

ومما يجدر ذكره أن العلم الوليد عملته أذهان بعض علماء النفس من قبل، ووضح في نظرياتهم. ومن هؤلاء العلماء «جين بياجيت»، «رينيه سبيتز»، «إريك إريكسون»، «آنا فرويد». والأخيرة تمت بصلة قرابة لعالم النفس الشهير «سيجموند فرويد».

والآن، فان «طب الأطفال النفسي - **Infant Psychiatry** »، قد تجاوز طور الافتراضات النظرية الى طور التطبيقات العملية. ولن يمضي كبير وقت حتى يصبح العلم الجديد واحدا من العلوم العديدة على قائمة الدراسة في كليات الطب.

وضع أسس المعالجة

المعروف ان قدرات الوليد العقلية والجسدية تمر خلال مراحل نمو وتطور معروفة. والجديد الذي يضيفه العلم الحديث، هو أن نمو الاطفال النفسي والعاطفي يمر ايضا بمراحل تطور، وقد أجريت أبحاث كثيرة، بهدف توضيح مراحل النمو النفسي ورسم حدودها. وقد توفرت من هذه الأبحاث الخطوط العريضة، التي ترسم حدود النمو النفسي السوي عند الطفل. والحيود عن هذه الخطوط العريضة هو دليل الطبيب المعالج لتشخيص المرض. ومن هذه الخطوط العريضة أنه في الشهرين الأول والثاني من

عمر المولود، تتكون رابطة فيزيائية عميقة بين الطفل وأمه. كما تنتظم لدى الطفل الصحيح عادة تناول الطعام، وعادة النوم. وخلال هذين الشهرين أيضا، يبدأ الصغير ملاحظة ما يجري حوله، ويتفاعل مع محيطه!

ومع نهاية الشهر الثاني، أو مطلع الشهر الثالث، يستطيع الطفل الصحيح أن يبتسم. أما الفترة بين الشهرين الثاني والثامن، ففيها يتعلم الطفل تمييز وجه أمه، ثم تمييز وجه أبيه، من بين وجوه الغرباء. وخلال تلك الفترة، تزداد حاجة الصغير الى الشعور بالأمان. وإذا كانت رابطة الحب بينه وبين والديه قوية، فيمكنه إظهار الاحتجاج والمعارضة لما لا يرضيه. أما إن كانت العلاقة واهية، فسيكون الطفل «انعزاليا» ومتوترا معظم الوقت! وأيضا خلال الشهور الستة، الواقعة بين الثاني والثامن، ينمو «فضول» الطفل، وتتكون لديه الرغبة الأولية في التعرف الى كنه الأشياء. ومن خلال اللعب مع الوالدين، تبدأ قدرته على التفكير وفهم رموز الأشياء ودلالاتها، في النمو.

والطفل المُهْمَل من والديه في هذه المرحلة، يتأخر نموه العقلي، وكذلك النفسي، عن أقرانه الذين يتمتعون بحب آبائهم وأمهاتهم ورعايتهم.

وما بين الشهرين التاسع والثامن عشر، تبدأ أولى محاولات الطفل للاستقلال الذاتي. وهذه المرحلة، تحتاج الى فهم عميق من الوالدين، لتشجيع الطفل وتوجيهه.

وخلال تلك الشهور، تنمو أنماط الطفل السلوكية والعاطفية، وتصبح أكثر تعقيدا من ذي قبل. وكمثال بسيط على تعقد سلوك الطفل في تلك المرحلة، محاولته الاختفاء عن ناظري أمه. ويعكس حب المراوغة هذا نوعا من نمو الطفل سلوكيا ونفسيا.

وبعد سبعة عشر شهرا، يبدأ الطفل في التفكير بطريقة الرموز، فيعرف — مثلا — أن الأحمر رمز الخطر. كما يبدأ تعلم الكلام، وتتكون لديه ملكة الاعجاب بالجمال.

ويحتاج الطفل من والديه في هذه السن، الى حث دائم، وتشجيع مستمر، اذا ما أريد له أن ينمو نموا طبيعيا وسويا.

وباستحضار هذه الملامح العريضة في الذهن، تصبح مهمة طبيب الأطفال النفسي سهلة الى حد ما. اذ يقوم بفحص الطفل، وتحديد أي حيود عن هذه الخطوط العريضة. وان كان التشخيص النهائي والدقيق، يمر خلال مراحل أخرى، يزاولها الطبيب المعالج. من ذلك، أن الطبيب يختبر تناسق عمل عضلات الطفل، واستجابته بشكل عام. من أمثلة ذلك، اختبار قدرة الطفل على القبض على شيء يوضع في يده « Grasp Response »، والوجهة التي يوجه اليها الطفل نظره أثناء الفحص، ودرجة تقوس الظهر عند رفع الطفل الى أعلى. وأخيرا، هل يبدو لعب الطفل عشوائيا ام أنه لعب هادف؟

فاذا فرغ الطبيب من ذلك، انتقل الى مرحلة أخرى من مراحل الفحص، في طريقه لتشخيص المرض. وتتعلق هذه المرحلة بفحص علاقة الطفل بوالديه. فيراقب الطبيب كيف تحمل الأم صغيرها، وكيف تهدهده وتغني له. وفي الوقت نفسه، كيف يستجيب الطفل لمداعبات أمه وتدليلها اياه.

والطريف هنا، أن سلوك الأمهات حيال أبنائهن، ينعكس بشكل عام من خلال هذه المرحلة من مراحل الفحص، التي تبدو للوهلة الأولى قليلة النفع. فطريقة احتضان الأم لصغيرها تعكس مقدار حبها له. ثم ان الأم التي تحمل ابنها في صمت وجفاء، تقدم الدليل على مصدر متاعب الطفل. بل ان نوعية الاغاني التي تنشدها الأم لصغيرها، وهو يتوسد صدرها، تعطي الانطباع بما اذا كان ذلك الطفل، لتلك الأم، سينمو نموا عاطفيا سليما، أم لا. وحتى وجهة نظر الأم، وكذلك الطفل، اثناء المداعبة، لها مدلولها الذي لا يقل أهمية عن المدلولات السابقة.

فاذا مرَّ الطبيب خلال هذه المراحل كلها، انتهى به الأمر الى التعرف الى المشكلة ومنبعها. وعلى ضوء ذلك، يقوم بعلاج الطفل.

فوائد العام الجديد

لا تنحصر فوائد طب الاطفال النفسي في علاج الأطفال المضطربين نفسيا فحسب، بل تتجاوز ذلك الى منع الاضطرابات النفسية أصلا. ويمكن تحقيق هذا الأمل الطموح، من خلال تعليم الأمهات، والآباء أيضا، كيفية التصرف السليم حيال الأبناء.

وقد أوضحنا منذ البداية، كيف أن انفصام العرى بين الصغير وأمه يعتبر مكمن الشرر. فمن هذه النقطة، تبدأ متاعب الطفل النفسية، التي تعوق تكوين شخصيته تكوينا سويا. وتأكيدا لهذا المعنى، نسوق هذين المثالين، من ملفات «مركز دراسات الصحة العقلية» في ميريلاند:

طفل في الشهر الرابع من العمر، مصاب باكتئاب، ويأبى أن يتبادل النظر مع أي وجه بشري ينظر اليه. فبتحليل مشكلة هذا الطفل، وفحصه وفقا للمراحل المذكورة آنفا، اتضح أن الأم لم تكن تستخدم عينيها مطلقا للتواصل مع الصغير.

مثال آخر، صبي رضيع، في الشهر الثالث من العمر، كان يصرخ بشدة في كل مرة كانت أمه تحمله فيها. وحلا لمشكلة الصراخ، تجنبت الأم حمل صغيرها بالمرة، وبعد شهر واحد على هذه الحال، كان الصغير في حالة من التوتر يرثى لها. وبتحليل المشكلة، اتضح أن الأم كانت تحمل صغيرها في جفاء، مما جعله يفقد تماما الشعور بالأمان، فصار يصرخ كلما حملته أمه.

وبعد، فان طب الأطفال النفسي، يفتح آفاقا أوسع أمام بناء لبنات سوية، تكون أقدر، من خلال سلامة تكوينها، على الشعور بدرجة أعمق بمعنى الحياة، فتعطي أكثر للحياة □

بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته:



بقلم: فاضل السباعي / دمشق

احتفلت الجمهورية التونسية بمرور الف سنة على وفاة الطبيب الشهير «ابن الجزار القيرواني» فأقامت له في موطنه القيروان، في شهر رجب ١٤٠٤هـ (ابريل ١٩٨٤)، ندوة علمية قدم فيها عديد من الأطباء والباحثين دراسات في حياته وعلمه وفكره[1].

ويعدُّ ابن الجزار، الذي نبغ في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، أول الأطباء العظام الذين ظهروا في بلاد «افريقية» (تونس اليوم). وقد عاصره، أو سبقه، طبيبان نابغان:

أولهما: «اسحق بن عمران»، بغدادي ولادة ونشأة، مسلم، دُعِيَ الى القيروان فجاءها سنة ٢٦٤هـ. «وبه ظهر الطب بالمغرب، وعرفت الفلسفة»، كما يقول ابن جلجل الاندلسي، وقد عمل في ظل بني الأغلب، عهد الدولة العباسية.

والثاني: «اسحق بن سليمان الاسرائيلي»، من أهل مصر، ثم سكن القيروان، ولازم اسحق ابن عمران المتقدم ذكره. وكان طبيبا حاذقا «عُمِّر طويلا الى أن نيف على مائة سنة وتوفي قريبا من سنة عشرين وثلثمائة، كما يقول ابن ابي أصيبعة، وقد خدم، بصفته طبيبا، الامام «عبيدالله المهدي»، الذي تمكن من أن يأخذ البيعة لنفسه في القيروان سنة ٢٩٧هـ.

وأما طبيبنا «أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد بن الجزار»، فقد لازم اسحق بن سليمان وتتلمذ عليه. ولكن بدا أنه أخذ أيضا عن أبيه «احمد» (المتوفى ٣١٢هـ) الذي كان معنيا بالكحالة، وعن عمّه «ابي بكر محمد» (توفي بعد ٣٢٢هـ) الذي اشتهر في وقته بالجراحة.

وتجمع المصادر التاريخية على أن الأطباء الثلاثة: ابن عمران، وابن سليمان، وابا جعفر بن الجزار، هم الذين وضعوا الأسس الاولى لما سمي بعدئذ بمدرسة القيروان الطبية.

ويتميز ابن الجزار عن «الإسحقين» بأنه من أهل القيروان الأصلاء، غير وافد عليها من مدينة عربية أخرى.

ويهمنا أن نؤكد أن ابن الجزار، الذي وُصِف بأنه من «أهل الحفظ والتطلع والدراسة»، لم يتوقف عن ممارسة الطب، بل تعداها الى التأليف فيه، وأكثر من وضع التصانيف والمؤلفات. وهو، أيضا، تجاوز الطب الى «سائر العلوم» فصنَّف في الأدب كتابا سماه «المكلَّل»، وفي التاريخ «كتاب اخبار الدولة»... وقد قاربت مؤلفاته الأربعين عددا أو نيَّفت عليها. ولكنه كان — بعد صفة «التعدد» في مواهبه — «متنوعا» في الطب، وكذلك نحا،

---

١ — اختلفت المصادر، التي تحدثت عن ابن الجزار القيرواني، اختلافا بينا في تحديد سنة وفاته. وكان أقلها انه توفي سنة ٣٣٨هـ (ياقوت الحموي) وأكثرها سنة ٣٩٥ (المستشرق بروكلمان).. ولكن الثابت انه «عاش نيفا وثمانين عاما، ومات عتيا بالقيروان»، كما يقول ابن ابي اصيبعة في «طبقاته».

في بعض مؤلفاته الطبية، منحى «التخصص» أيضا !

فمن مصنفاته الطبية نوع عام يبحث في العلل، أو في الأدوية، على نحو يقترب من أن يكون شاملا، أو موسوعيا، مثل: «زاد المسافر وقوت الحاضر» و«الاعتماد في الادوية المفردة».

ونوع يتعلق كل كتاب منه بعضو واحد من أعضاء الجسم وما يعرض له من العلل والأمراض كـ«المعدة» و«الكلى والمثاني»، أو يتعلق بـ«النَّفْس».

ونوع ثالث الكتاب فيه يتعلق بمرض مما يعرض للانسان، مثل: «الزكام» و«الجذام» و«المالنخوليا» و«النسيان».

ونوع يدور حول مادة في الطبيعة، مثل: «الاحجار» و«السموم» و«العطر».

ونوع خامس يخص فئة من الناس يوحِّد بينها العمر، ككتابه عن طب «الصبيان» (الاطفال) وآخر عن طب «الشيوخ»، أو كتاب يخص فئة اجتماعية مثل كتابه «طب الفقراء والمساكين».

وفي دوافعه الى تأليف كتابه الموسوعي «زاد المسافر..»، يقول: «اني رأيت كثيرا من عظماء الأطباء وضعوا كتبا في علاج الادواء التي تعرض في جميع أعضاء البدن، وعُنُوا بذلك بحسب ما هو للعناية أهل، إلا أن منهم من أكثر من مقدار الحاجة، ومنهم من قصر عما يحتاج اليه. «فألّفت، عندما علمت ذلك، كتابا في علاج الادواء التي تَعْرِض في جميع أعضاء البدن، وسميته «زاد المسافر وقوت الحاضر»، واخرجته من فساد التكلف والتطويل ومن سماجة التعقد والتعليل، فشاع في البلاد خبره وحسن عند الحكماء أمره» !

قال ذلك في خطبة (مقدمة) كتاب له آخر غير «زاد المسافر..»، هو كتاب «طب الفقراء والمساكين». ليسوغ بعد ذلك اقدامه على تأليف هذا الكتاب: «الا اني لما رأيت كثيرا من أهل الفقر والمسكنة يعجزون ان ينالوا منافع ذلك الكتاب (يعني: زاد المسافر) وغيره من سائر الكتب التي ألفها الحكماء في حفظ الصحة وابراء المرضى من وجعهم وردهم الى الصحة، لفقرهم وقلة طاقتهم (...) رأيت عند ذلك أن أجمع (... الأدوية) التي يسهل وجودها بأخف مؤونة وأسهل كلفة، فيسهل عند ذلك على الأطباء علاج العوام، من الفقراء والمساكين، بهذه الأدوية التي جمعتها من كتب جالينوس وديسقوريدوس وغيرهم من الأطباء».

ويبدأ كتابه هذا بباب: «في علاج الصداع الذي يعرض من الحر واستقبال الشمس»، يقول: «اذا حدث الصداع في الصيف، من التهاب الحر والمشي في الشمس، فينبغي أن يؤخذ دهن الورد فيضرب بخلٍّ ويُصَب على مقدَّم الرأس. «فان تعذر دهن الورد، فيُجعل عوضه زيت الزيتون الأخضر. «فان تعذَّر الزيت فيُجْعل مكانه الخل». «فان تعذر الخل يُجْعل مع الزيت ماء بارد..» !

ونحن قد ذكرنا «اساتذته» ونضيف: ان المصادر التاريخية لم تغفل الحديث عمن أخذ الطب عنه هو ! وقد وردت في ذلك الاشارة الى طبيب من الأندلس هو «عمر بن حفص بن بريق»، الذي كانت له رحلة الى القيروان، حيث لازم ابن الجزار مدة، انصرف بعدها الى وطنه، وفي حوزته نسخة من «زاد المسافر..»، واحدٍ من أهم كتب الاستاذ... فكان ابن بريق هو الذي أدخل هذا الكتاب الى الأندلس.

وعن ابن بريق اخذ الطبيب المعروف بـ«ابن جلجل» (توفي بعد ٣٧٧هـ)، هذا الذي ألف ـــ فيما بعد ـــ كتابه الشهير «طبقات الأطباء والحكماء»، وأتى فيه على نبذ مما تناهى اليه من علم ابن الجزار ومنزلته العلمية وما يتحلى به من الخلال النفسية والخلقية، وذلك ما نقله عنه، في عصر لاحق، مؤرخ الأطباء «ابن أبي أصيبعة» الدمشقي في كتابه الخالد «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» !

يقول ابن جلجل ـــ وعنه يأخذ دائما ابن أبي اصيبعة (ت ٦٦٨هـ) ـــ إن أحمد بن الجزار «كان قد أخذ لنفسه مأخذا عجيبا في سَمْتِه، وهَدْيِه، وتعدُّده، ولم يُحفظ عنه بالقيروان زلة قط، ولا أَخْلد الى لذة. وكان يشهد الجنائز والعرائس، ولا يأكل فيها، ولا يركب قط الى أحد من رجال افريقية، ولا الى سلطانهم...»، ويستثني ابن جلجل «ابا طالب» (وهوعمّ المعزّ لدين الله الفاطمي)، وقد «كان له صديقا قديما، فكان يركب اليه يوم جمعة لا غير».

واذا تجاوزنا ما في هذا النص من دلالات، فان ابن جلجل يمضي فينقل الينا، عمن يثق به، والظن أنه ابن بريق، قصة عن معالجة تعهدها ابن الجزار لولد القاضي النعمان... يقول الراوي:

«كنت عند ابن الجزار ضحوة يوم، اذ اقبل رسول القاضي النعمان بكتاب يشكره فيه على ما تولاه من علاج ابنه، ومعه منديل بكسوة وثلثمائة مثقال. فقرأ الكتاب، وجاوبه شاكرا، ولم يأخذ المال ولا الكسوة ! فقلت له: يا أبا جعفر، رزق ساقه الله اليك ! قال لي: والله لا كان لرجال «معد» قبلي نعمة !

و«معد» هو «المعز لدين الله الفاطمي»، الذي تولى الخلافة بعد موت ابيه سنة ٣٤١هـ، وسار الى مصر، ونقل اليها حاضرة الدولة الفاطمية، وبنى مدينة القاهرة.

وان القارىء ليجد، من صفات التفرد الأخرى التي حازها ابن الجزار: الطرافة، أو «الطرافة الفائقة»، كما سماها الدكتور محمد سويسي في مقدمته لتحقيق «زاد المسافر..»، فقال: ان ابن الجزار «اهتم بتطبيق القوانين الطبية على بيئته الخاصة وعلى طبيعة البلاد والعباد التي يتكون منها محيطه الذاتي».

واستشهد العالم التونسي على ذلك بقول لابن الجزار ورد في مخطوطة كتاب له لمَّا يطبع، هو «اعتماد الادوية المفردة»: «ان كثيرا من الادوية، التي الفها جالينوس وبقراط في كتبهما، مجهول، غير معروف في اللسان العربي، وكثير منها معدوم غير موجود (...) وهما تركا ذكر كثير من الادوية المفردة التي لا غنى لأحد من الأطباء عنها (...) انا أبينا ذكر الادوية التي هي مجهولة في بلدان الغرب، وان كانت عند أطباء العجم معروفة، لقلة

منفعتنا نحن بذلك»... ويتابع المحقق: «فنرى ابن الجزار يحقق أشخاص النبات، ويضبط اسماءها بالعربية أو بلهجة افريقية بالبربرية، ويشير أحيانا الى منابتها في جهة القيروان او تونس».

وإن ذلك يذكرنا بما وقع، في حياة ابن الجزار، على الجانب الآخر من البحر الشامي (الأبيض المتوسط)، ونعني: الأندلس، في عهد الأمير الأموي «عبدالرحمن الثالث» المعروف بـ«الناصر» (حكمه ٣٠٠ — ٣٥٠هـ)، ذلك أن ملك القسطنطينية بعث الى الأندلس الراهب «نقولا»، كي يستعين به الأطباء الاندلسيون في تفسيرهم لما كان مجهولا عندهم من أسماء العقاقير والحشائش الواردة في كتاب ديسقوريدس، هذا الذي كان صاحب القسطنطينية قد سبق فأهدى نسخة منه خزائنية بديعة الى الأمير الأندلسي تقربا، ولم يكن بين الاندلسيين من يتقن اللسان الذي وضع فيه الكتاب، وهو الاغريقية (اليونانية القديمة). وكان وصول هذا «الخبير» الى قرطبة سنة ٤٤٠هـ (٩٥١م)، فتشكل ما يمكن أن نسميه اليوم بـ«لجنة»، من الأطباء العاملين في قرطبة للنهوض بهذه المهمة الجليلة[٢].

ويقول ابن جلجل، الذي اتفق له ان عاصر هذه الوقائع، ان ابن الجزار، الذي كان يقيم في القيروان ولا يغادرها الا الى بحر المنستير «فيكون هنالك طوال أيام القيظ، ثم ينصرف الى افريقية (...)، كان قد همّ بالرحلة الى الأندلس، ولم ينفذ ذلك».

ونحسب أن طبيبنا القيرواني، الذي كان معنياً أيضا بالأدوية المفردة، النباتي منها خاصة، قد تاق الى زيارة الأندلس بعد أن ترامت اليه الأخبار بأن قد وصل اليها الراهب نقولا الخبير بكتاب ديسقوريدس الحشائشي.

ولعل مما يتبدى من طرافة ابن الجزار، وتجديده، انه لم يكن يقدم الدواء لمرضاه في المكان عينه الذي يقوم بمعاينتهم فيه: العيادة، بل في مكان آخر اصطنعه على باب داره، فيكون بذلك «أول من فصل، في المكان، بين دار العيادة للمرضى ودكان الصيدلاني»... يقول معاصره ابن جلجل الأندلسي:

«وكان قد وضع على باب داره سقيفة اقعد فيها غلاما له يسمى «رشيق»، اعد بين يديه جميع المعجونات والأشربة والادوية، فاذا رأى ابن الجزار القوارير (قوارير بول المرضى) بالغداة، أمر بالجواز الى الغلام واخذ الادوية منه، نزاهة بنفسه أن يأخذ من أحد شيئا»!

لقد ضاع كثير من مصنفات ابن الجزار، فما سلم لنا منها سوى بضعة عشر. ولكن أبا جعفر يبدو لنا محظوظا في الآونة الأخيرة، بالمقارنة مع انداده من الأطباء العرب القدامى، لأن مطابعنا العصرية اصدرت، في السنين الأخيرة، أربعة من كتبه، هي:

- كتاب «سياسة الصبيان وتدبيرهم» تحقيق الباحث التونسي الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨.
- كتاب «المعدة وأمراضها ومداواتها»، تحقيق الباحث السوري الدكتور سلمان قطاية، منشورات وزارة الثقافة والاعلام بالجمهورية العراقية (دار الرشيد للنشر) ١٩٨٠.
- كتاب «طب الفقراء والمساكين»، تحقيق الدكتور قطاية، نشر في باريس بتمويل من مختبرات «مارك شارب ودوم شيبري» ١٩٨٤.
- كتاب «زاد المسافر وقوت الحاضر» المقالات الثلاث الأولى، تحقيق الباحثين التونسيين الدكتور محمد سويسي والدكتور الراضي الجازي، منشورات بيت الحكمة بتونس (المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات) ١٩٨٦، وسوف تتلوه اجزاء تتضمن المقالات الأربع التالية... وذلك استجابة لاحدى توصيات الندوة العلمية التي أقيمت في تونس في الألفية، والتي ناشدت المهتمين بالتراث البحث عن مخطوطات الطبيب ابن الجزار في مكتبات العالم، والعمل على تحقيقها تحقيقا علميا متقنا، ونشرها.

وقد كان من تلك التوصيات ان يقوم الباحثون، الذين شاركوا في الندوة، بأن يعرف كل منهم، في بلده، بالطبيب القيرواني.

وهأنذا أعرّف — وان لم أكن من المشاركين في الندوة — بابن الجزار... هذا الطبيب الفذ، الذي يعتز به مواطنوه التونسيون، مثلما يعتز به اخوانهم العرب في كل مكان، وكذلك كل مثقف في العالم مستنير، يهوى الحق والخير والجمال □

---

٢ — كتبت في ذلك مقالا عنونته: «يوم وصل كتاب ديسقوريدس الى الاندلس»!

المصادر والمراجع:

١ — «سياسة الصبيان وتدبيرهم» لابن الجزار، تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨.

٢ — «في المعدة وامراضها ومداواتها» لابن الجزار، تحقيق الدكتور سلمان قطاية، من منشورات وزارة الثقافة والاعلام بالجمهورية العراقية (دار الرشيد للنشر) ١٩٨٠.

٣ — «طب الفقراء والمساكين» لابن الجزار، تحقيق الدكتور سلمان قطاية، نشر في باريس بتمويل من مختبرات «مارك شارب ودوم شيبري» ١٩٨٤.

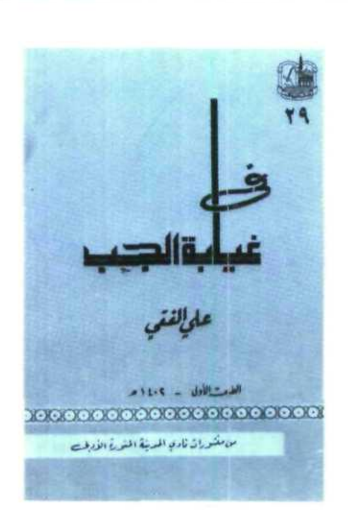
٤ — «زاد المسافر وقوت الحاضر» المقالات الثلاث الأولى لابن الجزار، تحقيق الباحثين التونسيين الدكتور محمد سويسي والدكتور الراضي الجازي، منشورات بيت الحكمة بتونس (المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات) ١٩٨٦.

٥ — «عيون الانباء في طبقات الأطباء» لابن أبي اصيبعة، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة ببيروت.

٦ — «قاموس الأطباء وناموس الالبا» (جزءان) للقوصوني المصري، من مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧ — «الاعلام» للزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.







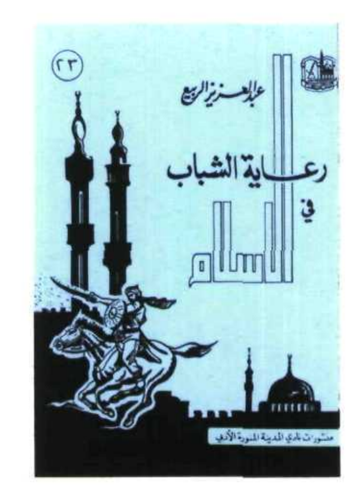
* «**في غيابة الجب**» للشاعر علي الفقي. صدرت الطبعة الاولى منه. ويقع في ١٠٥ صفحات من لقطع الصغير. وهو من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي. ويضم الديوان بين دفتيه ٤٨ قصيدة. وفيها يعيش الشاعر الأحداث التي ألمّت بأمته.

* في سلسلة «قصص لا تنسى» صدر كتاب جديد باسم «**اللقاء السعيد وقصص أخرى**»



للأديب القاص. الكاتب الأستاذ محمد المجذوب. وهو من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي. ويقع الكتاب في ٢٤٠ صفحة من القطع الصغير. ويضم تسع عشرة قصة. صدرت بكلمة ضافية بقلم الدكتور شوقي عبدالحليم حمادة. استاذ الأدب والنقد بجامعة الأزهر.

* صدر للأستاذ الراحل د. عبدالعزيز الربيع كتاب. صغير في حجمه. كبير في نفعه. تحت اسم «**رعاية الشباب في الاسلام**» تناول فيه

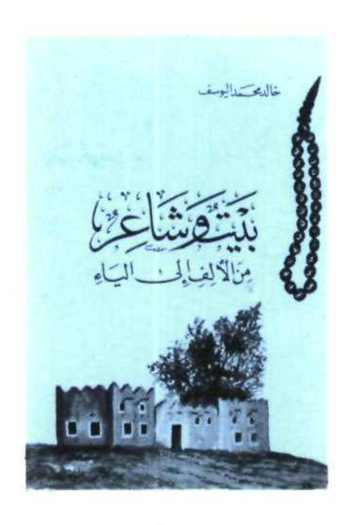


كاتبه، رحمه الله، العناية بالشباب واعدادهم للمستقبل روحيا وجسديا وعقليا في ظل الاسلام. والكتاب من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ويقع في ٩٨ صفحة. كما صدر له كتاب بعنوان «**ذكريات طفل وديع**» الطبعة الثانية وهو من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ويقع هذا الكتاب الممتع في ٢٨٨ صفحة من القطع الصغير.

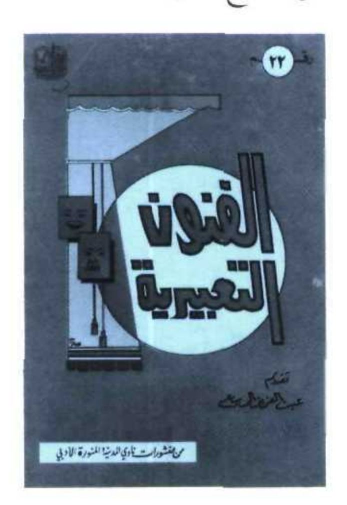


* «**جداول وينابيع**» ديوان شعر جديد للشاعر عبدالرحمن سليمان رفه، صدرت الطبعة الأولى منه، وهو من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، وقد قدم له الراحل عبدالعزيز الربيع. والقصائد التي يضمها هذا الديوان، الذي يقع في ٢٢٥ صفحة من القطع الصغير، تعبر بجلاء عن المشاعر الصادقة للشاعر واعتزازه بدينه وأمته وبلاده.

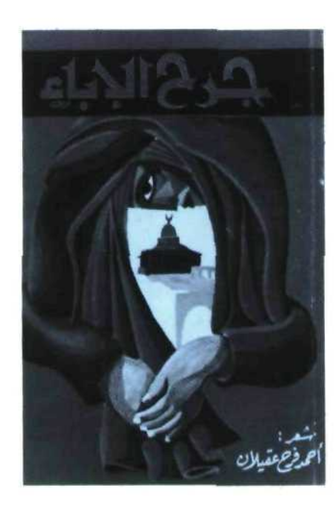
وصلت مجموعة من الكتب المهداة من نادي المدينة الأدبي وهي:



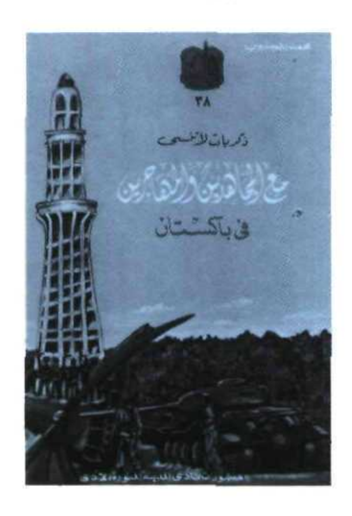
* «**بيت وشاعر من الألف الى الياء**» لخالد محمد يوسف: وفكرة هذا الكتاب هي التعريف بأكبر عدد ممكن من الشعراء، بصورة موجزة، عن طريق الاشارة الى ما كان يسميه النقاد «بيت القصيد»، والكتاب لا يعتمد على فترة زمنية محددة، ولا بيئة معينة، وقد تناول فيه المؤلف ٣١٥ شاعرا، وهو يقع في ٤٩٥ صفحة من القطع المتوسط.



* «**الفنون التعبيرية**» تقديم الراحل عبدالعزيز الربيع. وهذا الكتاب عبارة عن سبع وعشرين مقالة صغيرة عن المسرح العربي لمجموعة من الكتاب المصريين. وقد كان نصيب الأستاذ لطفي السيد منها الثلث حيث وردت له تسع مقالات، وقد وضع عبدالعزيز الربيع مقدمة لهذه المقالات تناول فيها صلته بالمسرح ودراسته في المعهد العالي لفن التمثيل العربي وعلاقته بأساتذة المعهد كما انه شارك بمقالة واحدة من مقالات الكتاب.



* «**ديوان جرح الإباء**» للشاعر أحمد فرح عقيلان: وهو الديوان الاول للشاعر، ويحتوي على اثنتين وثلاثين قصيدة، تتميز جميعها بالروح الاسلامية، واستثارة الهمم من أجل تحرير أولى القبلتين. وقد التزم الشاعر الشكل العمودي في شعره، وحرص على أن يكون أسلوبه سهلا يفهمه متوسطو الثقافة مع المحافظة على الاصالة اللغوية.



* «**ذكريات لا تنسى مع المجاهدين الأفغان في باكستان**» للشيخ محمد المجذوب. وهذا الكتاب يسجل أحداث الفترة التاريخية المهمة التي واكبت قيام الاتحاد بين منظمات المجاهدين في افغانستان خلال النصف الأخير من عام ١٤٠١هـ، والتي شارك فيها الكاتب بنفسه، وقد تناول فيه جوانب كثيرة وكشف عن أمور عديدة، بالاضافة الى مشاهداته السياحية. وقد جاء الكتاب في ١٨٣ صفحة من القطع المتوسط □



قصة قصيرة :

بعد الغروب

تأليف : هـ . هـ . مونرو

ترجمة : حسني محمد بدوي / القاهرة

جلس «ن . ج» على أحد مقاعد حديقة (هايد بارك)، حيث يوجد وراءه مرج مخضر تتكاثف في اطرافه الأشجار، ويحيط به سور حديدي، وفي مواجهته يمتد طريق «رو» مخترقا خلاءً فسيحا، وعن يمينه يموج حي (هايد بارك) بحركة السيارات وعجيجها.

وكان الوقت مساء، في أول أمسية من أمسيات شهر «مارس» والساعة قد جاوزت السابعة والنصف، وكانت أستار غبش الضباب قد أسدلت على مشهد الدنيا أمامه، وخفَّف نور القمر وأضواء المصابيح من كثافة الغبش، وشاع الخواء في الشوارع والأرصفة، ومع ذلك كانت تلوح في صمت، خلال الضوء

الشاحب. أطياف كثيرة تناثرت هنا وهناك بلا إزعاج أو تطفل. أطياف رواد الحديقة حيث تغمرهم الظلال الكئيبة ولا تكاد العين تميزهم.

لكن «ن. ج» ارتاحت نفسه للمشهد وتوافق مع حالته النفسية. ان ساعة الغسق، في تصوره، هي ساعة القهر والانكسار! وأولئك الرجال والنساء الذين عاركوا الحياة ثم فشلوا او ضاعوا، يخفون الآن تعاسات حظوظهم وخيبة آمالهم عن عيون الفضوليين. خرجوا في تلك الساعة الغبشة بثيابهم الرثة واكتافهم المقوسة وعيونهم المبتئسة، عبروا الطرقات ولاذوا بجنبات الحديقة مثقلين بهمومهم.. لم يشأ أولئك المتجولون عبر غبش المساء أن تتفرس فيهم نظرات الازدراء، فخرجوا خفية كالخفافيش حزانى، لكنهم راضون بأرض تلك الحديقة البهيجة التي خلت من روادها الأصلاء!

وهناك، من وراء حجاب من الاحراش النباتية والسياج الحديدي، تراءت مملكة من الأنوار المتلألئة اللاغطة حيث حركة المرور باندفاعها، وشعّ ضوء متوهج من النوافذ العديدة المصفوفة كاد يبدد الغبش من حوله ورسم مساكن الآخرين الذين شغلهم صراع الحياة أو الذين لم يسلموا بالفشل كيفما كان.

هكذا سرح خيال «ن. ج» أثناء جلوسه على المقعد في الممشى المهجور. كان في حالة مزاجية جعلته يضع نفسه في عداد المهزومين البائسين. لم تخنقه متاعب المال. لكنه ودّ لو كان يستطيع أن يتجول في الشوارع العمومية المضيئة الصاخبة، وأن يأخذ مكانه في زمرة تلك الطوابير المتزاحمة لخلق الله الذين يستمتعون بالنجاح أو بالنضال في سبيل النجاح. لقد خاب أمله وطموحه المراوغ أكثر من مرة فتألم قلبه الرقيق — ولا يزال يتألم حتى اللحظة — أشد الألم.

ولم يمنعه ذلك من أن يرقب رفاقه المتجولين، بروح ساخرة، حتى أنه كان يرصدهم ويصنفهم كبطاقات وهم يمضون في سبيلهم في الخلاء المظلم الذي تتخلله المصابيح.

جلس بجانبه رجل مسن يتشبث، فيما يبدو، بالبقية الباقية من كبرياء رجل مسالم اتّسم بالوداعة! كانت ملابسه رثة تقريبا، إلا أنها بدت في الضوء الخافت مقبولة. وبدا كأنه ينتسب الى فرقة موسيقية مغمورة مخذولة تزمر وتصفر وما من أحد يسمع أو يستجيب لها فيرقص على ألحانها! إنه أحد المفلسين التعساء الذين يتألمون ولا يذرفون الدمع.

وعندما قام وغادر المكان، تصوره «ن. ج» وهو يعود الى مسكنه حيث يجد من يزجره أو بالأحرى تصوره وهو يمضي الى مسكن كئيب بارد وليس شغله الشاغل سوى تسديد قيمة ايجاره الاسبوعية. واختفى شبحه رويدا رويدا في الظلام.. وسرعان ما احتل مكانه شاب أنيق حقا. لكنه لا يقل كآبة عن الرجل المسن. طرح نفسه على المقعد متهالكا وكأنه يؤكد بذلك أن العالم قد أساء اليه كثيرا. ولعله جاء هنا ليبدد غضبه. وأراد «ن. ج» أن يخفف عنه بعض كربه فقال له:

— «يبدو لي أنك لست في حالة طيبة!».

فالتفت اليه الشاب بنظرة ملؤها الصدق شدت انتباه «ن. ج» على الفور. ثم قال — الشاب —:

— «أنت لا يمكنك أن تكون في حالة طيبة اذا كنت في ورطتي! لقد ارتكبت أحمق خطأ في حياتي!»

فسأله «ن. ج» بفتور:

— «ماذا تعني؟!»

فاستطرد الشاب:

— جئت بعد ظهر اليوم الى «لندن» وقصدت النزول بفندق «بتاجونيا» في ميدان «بركشاير»، ولكني عندما وصلت هناك وجدته قد هدم منذ بضعة أسابيع وبنيت مكانه دار للسينما! ونصحني سائق التاكسي أن أتوجه الى فندق آخر، كان ذلك. وحررت خطابا وأرسلته الى أسرتي أخبرهم فيه بعنوان اقامتي هنا، وتوجهت لشراء قطعة من الصابون، وكنت قد نسيت ذلك لأنني أكره استعمال صابون الفنادق ثم تجولت قليلا. وشربت عصيرا في أحد الأماكن، ثم تلهيت بالنظر بعض الوقت الى واجهات الحوانيت.. وبينما كنت راجعا الى الفندق، فطنت الى أنني نسيت اسمه واسم الشارع الذي يقع فيه. إنها ورطة حرجة لانسان يجد نفسه في «لندن» وحيدا بلا أصدقاء وبلا أية علاقات! وبطبيعة الأمر فأنا لا أستطيع أن ارسل الى أسرتي برقية لموافاتي بعنوان الفندق، وهم بالطبع لن يتسلموا خطابي قبل غد. وفي الوقت نفسه انا مفلس تقريبا، اذ انني غادرت الفندق وأنا لا أحمل أكثر من شلن واحد، واشتريت منه قطعة الصابون وتناولت كأس العصير. وها أنا ذا أهيم على وجهي ولم يبق في جيبي سوى بنسين ولا أعرف لي ملجأ في هذا الليل...».

وسادت فترة صمت ثقيلة عقب رواية تلك القصة، ثم قال الشاب بنبرة أسى وحنق:

— «أتظن انني لفقت لك هذه القصة التي تبدو لك مستحيلة!؟»

فقال «ن. ج» بتعقل:

— «لا. ليس ذلك مستحيلا على الاطلاق! فقد حدثت لي

نفس الورطة وبنفس الظروف عندما كنت أنا وصديق لي في عاصمة أجنبية. ومن حسن حظنا آنذاك أننا تذكرنا ان الفندق الذي نسينا اسمه وموقعه يشرف على قناة، فسرنا بمحاذاة الشاطىء حتى استطعنا أن نعود الى الفندق!».

قال الشاب وقد أشرق وجهه:

— «ان الأمر لا يهم كثيرا اذا ضل الانسان طريقه في مدينة أجنبية، اذ يمكنه أن يلجأ الى قنصل بلاده ليحصل منه على المساعدة اللازمة، أما هنا فالمرء يكون في بلده أكثر عزلة إذا هو وقع في ورطة كهذه! واذا لم أصادف من يصدق قصتي ويقرضني بعض النقود فإنني — على الأرجح — سأقضي ليلتي على الرصيف، وانه ليسرني على أية حال أنك تصدق قصتي!».

أبدى ملاحظته الأخيرة هذه بنبرة ملؤها الحماسة، آملا ان يجامله «ن. ج» بتأدبه الجم.

قال «ن. ج» بتؤدة:

— «لا شك أن نقطة الضعف في قصتك هذه هي أنك لا تستطيع أن تقدم قطعة الصابون، أين هي؟!».

نهض الشاب ممتقع الوجه وتحسس بسرعة جيوب معطفه ثم انتفضت فرائصه، وغمغم غاضبا:

— «لا بد أنها قد ضاعت مني!». قال «ن. ج»:

— «أن تتيه عن الفندق، وأن تفقد قطعة الصابون في ساعة واحدة، فهذا يؤكد لي إهمالك المتعمد!».

فانتبه الشاب جيدا لدى سماعه الفقرة الأخيرة من هذه الملاحظة، ولكنه ما لبث أن انطلق ماضيا في سبيله عبر الممشى مهيض الجناح، رافعا رأسه متشبثا بالبقية الباقية من كبريائه الجريح! فقال «ن. ج» وهو مستغرق في التأمل: «واأسفاه! ان العنصر المقنع الحساس في حبكة تلك القصة هو الحصول على لفافة الصابون، فلو كان صاحبنا محتالا ذكيا لما فاتته تلك النقطة التي جلبت له الخيبة! كان يجب عليه أن يكون ذكيا في أسلوبه الدقيق، ان يكون حصيفا، آخذا في اعتباره جميع التحفظات!».

صحا «ن. ج» على تأمله هذا ثم قام وقد افلتت منه آهة أسى. ولكنه لمح — على الأرض بجانب المقعد — لفافة ذات شكل بيضوي، مختومة بشعار احدى الصيدليات. انها قطعة الصابون التي لا بد أنها قد سقطت سهوا من جيب معطف ذلك الشاب المسكين عندما طرح نفسه متهالكا على المقعد. وبعد لحظة، كان «ن. ج» قد هب وسار، ثم غذّ خطاه تجاه الممر الموشح بغلالات الغبش باحثا بقلق بالغ عن الشاب المتدثر بمعطف رقيق. وكاد أن ييأس، ولكنه ما لبث ان لمحه واقفا على حافة الرصيف، بادي الحيرة لا يعرف، أيتجه عبر الحديقة أم يضرب على غير هدى فوق أرصفة (نايتسبريدج) الصاخبة.

وعندما رأى الشاب «ن. ج» استدار نحوه بخفة كمن يواجه خصمه.

فقال «ن. ج» وهو يمد اليه قطعة الصابون:

— «هاك الدليل المهم على صدق قصتك، لا بد أنها قد انزلقت من جيب معطفك عندما جلست على المقعد، اذ انني لمحتها فوق الأرض بعد انصرافك، فارجو أن تغفر لي سوء ظني، لكن الظواهر لا شك كانت ضدك. أما الآن فانني اذ احتكم الى هذا الدليل أرى عليّ أن التزم بصدقك القاطع، وارجو أن تتقبل مني جنيها على سبيل الاقراض..».

وزال عن الشاب، بسرعة، كل شك عندما دس النقود في جيبه. واستطرد «ن. ج» يقول:

— «هاك بطاقة تحمل عنواني وهويتي ويمكنك أن ترد القرض في أي يوم، والآن ضع قطعة الصابون في جيبك بحرص واحكام واياك ان تفقدها ولتلازمك كصديق عزيز عليك!».

فقال الشاب:

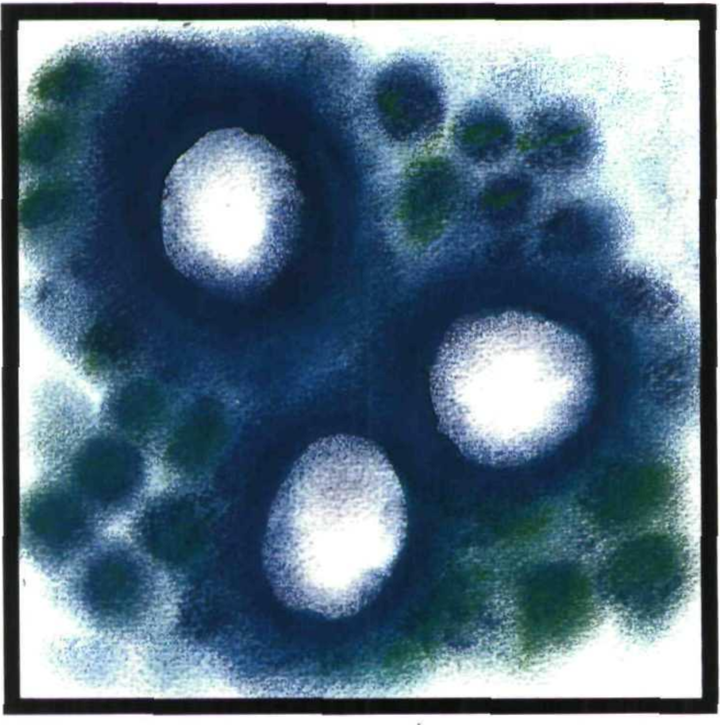
— «من حسن الحظ حقا أنك عثرت عليها!».

ثم لهج لسانه بكلمة شكر في صوت محتبس، ولاذ بالفرار في عجلة ورعونة صوب حي «نايتسبريدج». فقال «ن. ج» لنفسه: «يا له من مسكين! انه لا شك مفلس ومنهوك القوى. وهو إن لم يتخفف من وطأة هذا المأزق فانه سيعاني متاعب حادة. هذا درس لي حتى لا أسرف كثيرا في سوء الظن بالناس ولا أحكم عليهم بما يبدو لي من ظواهر أمورهم!».

وتعقب «ن. ج» آثار أقدامه عائدا الى الحديقة حيث وقعت تلك المأساة الصغيرة — وهنا رأى رجلا مسنا ينبش ويبحث تحت المقعد وفي كل جانب منه. انه ذلك الرجل الذي جلس هنا قبل مجيء الشاب. سأله «ن. ج»: «هل فقدت شيئا يا سيدي؟». فقال الرجل المسن:

— «نعم يا سيدي! قطعة من الصابون!!» □


«والنخل باسقات لها طلع نضيد»



راجع مقال: «الميكروبات.. فوائدها وأضرارها».